

## مرحلة الشباب

### من أهم مراحل العمر

الشباب مرحلة من مراحل العمر، تتمثل فيها القوة والحيوية، والحركة والنشاط. ومرحلة الشباب هذه جعلها الله سبحانه وتعالى وسطا بين مرحلتين، كلتاها تتسم بالضعف:

\* المرحلة الأولى: هي مرحلة الطفولة من حين يولد الطفل ضعيفا لا يقدر على الحركة، ولا يستطيع العبير، ولا يعي من الأمر شيئا كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

\* والمرحلة الأخرى: هي مرحلة الشيخوخة والكبر، وفي هذه المرحلة تنقلب حال الإنسان من القوة إلى الضعف، فتنقص معلوماته وتضعف بنيته وقواه، كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن وصل إلى هذه المرحلة يكون قد تقلب في المراحل الثلاث، وانتهى حاله إلى الضعف والنقص والنسيان فلا يعلم - بعد علم - شيئا، كما قال تعالى مستدلا بتلك المراحل والأطوار على البعث، وأنه حق. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنْفِقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرْدُ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَائِلَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المراحل في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ

(١) سورة النحل ٧٨.

(٢) سورة يس ٦٨.

(٣) سورة الحج ٥.

ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفِ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿١١﴾<sup>(١)</sup>

ومرحلة الشباب إنما تعتبر من أدق المراحل في حياة الإنسان، لأن الشباب يحملون نفوسا خصبة صالحة للخير والإصلاح، وقلوبا صافية لم تقتحمها - بعد - عادات سيئة، ولا تقاليد ضارة، ولا ضروب من الأخلاق التي تتراكم في العادة لدى الكبار، ومن أجل هذا كانوا أسرع فئات المجتمع إلى قبول النصيحة، واستجابة الدعوة، وكان لتوجيههم وإرشادهم أكبر الأثر في مستقبل حياتهم، خاصة منذ الصغر، قبل أن يشبوا ويكبروا على بعض العادات أو الرذائل التي قد تعشاهم فترة ما من الزمن أو تهب عليهم بعواصف الشك والقلق، فيصبح علاجهم حينئذ صعبا، لأن من شب على شئ شاب عليه.

وفى هذه المرحلة أيضا، كثيرا ما تتحرك العواصف، وتهب من ركودها في نشاط وحيوية، تتسم بحسن الخلق، والإعجاب بمظاهر البطولة في سبيل الدين والوطن، كما تتسم بحدة العقل.

ومن نوائح السلف: قول ابن شهاب الزهري: «لا تحقروا أنفسكم لحدائث أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتیان، واستشارهم ببتغى حدة عقولهم».

وكان الرسول ﷺ يعنى بتشجيع الشباب، ويكشف عن أهمية دورهم في الحياة، فيمنحهم الثقة بأنفسهم، إذ يثق بهم في معضلات الأمور، وأصعب المهام وأخطرها، فيسند إليهم أعمالا عظيمة، ويوليهم القيادة، فقد أعطى الرسول ﷺ: عليا الراية يوم بدر، وسنة يومها نحو عشرين سنه، وأعطى زيد بن ثابت راية بنى النجار يوم تبوك، وسنة نحو عشرين سنه، وأعطى زيد بن ثابت لواء السرية التي جهزها، وسنة نحو عشرين سنة، وقيل تسع عشرة سنة.



(٤) سورة الروم ٥٤.

## رعاية الشباب فى ضوء القرآن الكريم

إذا نظرنا إلى رعاية الشباب، فى ضوء القرآن الكريم، فإننا سنقف أمام عطاء غامر، ودروس باهرة، تتضافر فى إبراز ما للشباب من أهمية، وتلقى الضوء على كيفية المحافظة عليهم، وتوجيههم وتربيتهم وتعليمهم.

وسنحدد الحديث هنا عن رعاية الأبناء، فى أربعة عناصر:

**أولاً:** إنهم نعمة من الله سبحانه وتعالى، يتمناها الناس، كما تمنها الأنبياء، فلذا يدعون ربهم أن يهبهم ذرية طيبة.

**ثانياً:** رعاية الله تعالى لهم منذ الإقرار فى الرحم، إلى أن يخرجوا إلى الوجود.

**ثالثاً:** المحافظة على حياة الأبناء، ورعاية طفولتهم والدفاع عنهم، وتوفير السعادة لهم.

**رابعاً:** تربيتهم وتعليمهم.

✽ أما بالنسبة للأمر الأول، وهو أنهم يمثلون نعمة من أكبر النعم التى يتمناها الناس كما تمنها الأنبياء، ويدعون ربهم بها: فترى قول الله تعالى فى وصف عباده الذين شرفهم بالإضافة إليه، وسماهم عباد الرحمن. قال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال سبحانه فى شأن زكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأنهم أيضا زينة الحياة الدنيا، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذه النعمة قد ينالها البعض ولا ينالها آخرون، وما يمنح الله لعباده منها قد يكون ذكرا وقد يكون أنثى، وقد

(١) سورة الفرقان ٧٤.

(٢) سورة آل عمران ٣٨.

يكون الأبناء من الذكور والإناث، وقد لا ينجب الرجل مطلقاً بأن يكون عقيماً، وذلك كله إن دل على شيء فإنما يدل على سعة علمه تعالى وحكمته، وقدرته وإرادته.

قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَبَهَبَ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۚ﴾ (٤٩) أَوْ يُرْجِمُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾.

ومن أجل هذا: فإن القرآن الكريم حين يشير إلى الأبناء باعتبارهم زينة يتزين وينعم بهم الإنسان، كما يتزين وينعم بالمال، فإنه يردف الحديث بأن الأبقى ثواباً ونفعاً، وأن خير ما يتحقق للإنسان من أمل في الآخرة، مما كان يتمناه ويؤمله في الدنيا، إنما يكون في الباقيات الصالحات من أعمال الخير، التي تبقى ثمرتها، فقال سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ (٣١).

وهداية الأبناء أمنية الآباء التي يدعون بها لهم ولأنفسهم.

قال تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام، وحرصه على هداية بنيته: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣١).

ويصور القرآن الكريم أثر الآباء في الأبناء، حين تصح عقيدتهم ويسلكون الصراط المستقيم، ويتبعون هدى الله فتتبعهم ذريتهم على طريق الإيمان. قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٤١).

﴿ وأما بالنسبة للأمر الثاني، وهو رعاية الله للأبناء بعد الإقرار في الرحم فقد وضح القرآن الكريم أطوار الخلق، مبيناً كيف كانت رعاية الله للإنسان، منذ اللحظة الأولى التي كان فيها نطفة، ثم تدرج إلى علقة، ثم مضغة.. إلى أن يخرج طفلاً ثم إلى أن يكبر، واستدل بهذه الأطوار على كمال قدرته تعالى على البعث.

(١) سورة الشورى ٤٩ . ٥٠ .

(٢) سورة الكهف ٤٦ .

(٣) سورة إبراهيم ٣٥ .

(٤) سورة الطور ٢١ .

قال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ<sup>١</sup> وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ<sup>(١)</sup>﴾.

كما راعى الإسلام للأبناء حق الرضاع حتى يضمن للطفل من اللحظات الأولى ما تنهض به حياته، وتقوم عليه. فقال سبحانه: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّيَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ<sup>(٢)</sup>﴾.

\* وأما عن الأمر الثالث، وهو المحافظة على حياة الأبناء، والدفاع عنهم، وتوفير السعادة لهم: فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ<sup>(٣)</sup>﴾.

فقد نهى الله عن قتلهم من أجل فقر موجود، واقع حال. وفي موطن آخر قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ<sup>(٤)</sup>﴾.

أى مخافة وقوع فقر.

كما راعى الإسلام - في سبيل المحافظة على حياة الأبناء حمايتهم وصيانتهم من التعرض لهزات الزمن، وتقلب الحياة فأمر الأوصياء أن يخشوا ربهم ويتقوه في أمر اليتامى، وأن يتصرفوا معهم بما يحبون أن يفعل بذريبتهم الضعفاء بعد موتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا<sup>(٥)</sup>﴾.

\* وأما بالنسبة للأمر الرابع، وهو تربية الأبناء وتعليمهم: فقد قدم لنا القرآن الكريم صورة من الوصايا في إطار متكامل، ترسم للشباب معالم الطريق، وملامح الحياة المستنيرة

(١) سورة الحج ٥.

(٢) سورة البقرة ٢٣٣.

(٣) سورة الانعام ١٥١.

(٤) سورة الإسراء ٣١.

(٥) سورة النساء ٩.

المستقيمة التي تظل موصولة بالله وبالمجتمع الذي يعيشون فيه ، وهذه الوصايا يقدمها القرآن على لسان لقمان .

يقول سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ۚ إِلَىٰ ثَمَرٍ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْقَالًا حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوٰتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقْرِ الصَّلٰوةِ وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالِفٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ .

إن أولى الوصايا وأول أساس من أسس التربية والتوجيه «العقيدة» التي تتمثل في توحيد الله تعالى . ثم جاء بالوصية بالوالدين ، وهي وان لم ترد على لسان لقمان ، إلا أنه أوردها هنا تأكيداً لتصحيح مسار العقيدة ، والمبالغة في عدم التهاون بها ، حتى وإن كان ذلك ممن وصى الله بهما بعده مباشرة وهما الوالدان ثم كان التوجيه إلى علم الله الذي أحاط بكل شئ ولطفه الذي يدرك كل دقيق من الأمور وكل خفى عن الناس ، ثم الوصية بالصلاة التي تعنى الصلة بالله تعالى ، والتي من ثمراتها تهذيب النفس ، والانتهاز عن الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (١) .

ثم تنتقل الوصايا من الصلاة التي بها تتهذب النفوس ، وتكمل في هداها إلى ما يهذب من الغير ويكمل هداها ، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل ذلك في حاجة إلى الصبر والاحتمال واستمرار مواصلة السير . ولا يكفي لتهديب الغير وإرشاده والتقويم من اعوجاجه مجرد النصيحة ، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، بل لابد من المعاملة الحسنة مع الغير ، وممارسة القدوة ، والتطبيق العملي معه كما لابد أيضاً من التواضع والتآلف

(١) سورة لقمان ١٣ - ١٩ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٥ .

هكذا سارت بنا هذه الوصايا الحكيمة، ترسل عطاها وهداها، رعاية للشباب، في جميع الجوانب، ما يتصل منها بعقيدته وصلته بالله، وما يتصل منها بسلوكه وتهذيبه وتنشئته تنشئة صالحة، وما يتصل منها بعلاقاته الإنسانية في أسمى صورها العديدة والرشيده.

\* \* \*

\* ويرسى القرآن الكريم أصولا في الآداب العالية، ومن بينها أدب الاستئذان فيما يتصل بالأسرة والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، وذلك عند دخولهم على الكبار، في وقت الراحة والخلوة.

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُوا الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوْفُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وقد روى في سبب نزول الآية السابقة: أن غلام أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت الآية، وقيل، أرسل رسول الله ﷺ مدلج بن عمرو الأنصاري - وكان غلاما - وقت الظهر ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لوددت أن الله عز وجل نهى أباؤنا وأبناءنا وخدمنا ألا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فوجده وقد أنزلت تلك الآية السابقة.

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم أروع الأمثلة في أنبل نموذج للعفة مع نبي الله يوسف - وهو شاب - فلقد تعرض لفتنة الجمال مع امرأة العزيز.

قال تعالى: ﴿وَرَدَّوْذُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

كما ضرب المثل الرفيع بنبي الله موسى عليه السلام في مروءته ونجدته مع بنات

(٢) سورة النور ٥٨ - ٥٩.

(١) سورة يوسف ٢٣.

شعيب ، ويشيد القرآن بقوته وأمانته إذ يقول : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الزَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي تَدْعُوكَ لِيجزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِبُ اسْتَعِجْرَهُ ابْنِي خَيْرٌ مِنْ اسْتَعَجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ١ .

□□□

## رعاية الشباب فى ضوء السنة الشريفة

### أولا - جانب التربية:

لقد عنى الرسول ﷺ برعاية الشباب عناية فائقة، باعتبارهم طلائع الأمة، وعدتها فى الجهاد، وفى العمل والنهوض، وباعتبارهم رجال المستقبل، وأسبق فئات المجتمع إلى قبول دعوات الإصلاح.

ومن ناحية أخرى باعتبارهم قوة قد تتأجج بالخير إذا وجهت إليه، وقد تنزع إلى الشر، إذا تركت وأهملت.

ومن هنا حرص الرسول ﷺ على تنشئة الأبناء على أساس من العقيدة الصحيحة، والعبادة السليمة، وتقوى الله تعالى منذ نعومة أظفارهم، حتى إذا شبوا وكبروا كانوا متعودين على العبادات، وعلى طاعة الله تعالى، وكانت سائر أعمالهم وعلاقاتهم بغيرهم نابعة من محيط إسلامى نقى.

\* وأول ما ينبغى أن يتعلمه الأبناء من العبادات - بعد معرفة الله تعالى - هو إقامة الصلاة. قال صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع»<sup>(١)</sup>.

فيجب على المسلم أن يوجه ابنه ويأمره بالصلاة عقب تمام سبع سنين إذا كان الطفل مميزا، وإلا فعند التمييز، ويضربه ضربا غير مبرح على تركها وهو ابن عشر سنين، أى بعد تمامها، واعتمد جماعة من الشافعية أن الضرب يجب فى الشروع فى العاشرة، لأن الضرب عقوبة، والعشر من احتمال البلوغ بالاحتلام، وفى هذه السن يقوى عوده ويحتمل.

\* ولما كان لتربية الشباب أثرها البالغ فى الشباب أنفسهم، وفيمن يؤثرون فيهم بعد ذلك جيلا فجيلا، كانت نظرة الإسلام إلى تربية الشباب وتوجيه القوى الكامنة فيهم بعيدة المدى، وبحيث تقدم تربيتهم على أى عمل آخر حتى ولو كان صدقة.

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»<sup>(١)</sup>.

وتجعل هداية الوالد لولده، وتوجيهه له التوجيه السديد أفضل هدية يقدمها الآباء للأبناء.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن»<sup>(٢)</sup>.

ومن أهم ما ينبغي أن يغرس في نفوس الأبناء، من فضائل الإسلام وأدابه: خلق الصدق، فإذا ما نشأوا عليه وألفوه منذ الصغر كبروا عليه، فكانوا صادقين صالحين فى سائر أقوالهم وأعمالهم.

عن عبدالله بن عامر قال: دعتنى أمى يوما ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعد فى بيتنا - فقالت:

تعال أعطك، فقال لها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرا. فقال لها: «أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة»<sup>(٣)</sup>.

\* ومن أجل أن يشب الأبناء على سائر معانى الإسلام وفضائله، كانت الرعاية بغرس خلال البر والخير والرجولة فيهم منذ صغرهم لها أهميتها، ومن ذلك: تحية الإسلام، وهو «السلام».

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل»<sup>(٤)</sup>.

ولم تدع السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام جانبا من جوانب التربية والرعاية إلا واشتملت على وصايا وتعاليم فيه ترقى بالشباب وتهذب من سلوكهم، ومن ذلك: جانب قد يغفل عنه بعض الآباء فى تربية أبنائهم، بدافع العاطفة والرحمة والإشفاق، وهو أدب المائدة، وعندما يتناول الأبناء الطعام، هنا يوجه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النظر إلى ضرورة مراعاة البدء فى الطعام باسم الله، وأن يأكل الإنسان مما يليه.

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه البخارى ومسلم.

عن أبي حفص عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد»<sup>(١)</sup>.

ويوصى الإسلام باليتيم، لأنه في حاجة ماسة إلى العناية والرعاية والرحمة.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۙ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللِّئيمِ ۙ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۙ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما»<sup>(٤)</sup>.

كما خص الإسلام البنات بمزيد رعاية وإشفاق، باعتبارهن ضعيفات، وباعتبار أهميتهن في تكوين الأسرة، فالأسرة أساس المجتمع، والفتاة عندما تكبر وتصبح أما فإن أهميتها بالغة، وفي أحضانها تنمو عواطف الأبناء، وتترعرع أخلاقهم، لذا كان لها مزيد عناية واهتمام، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمر واحدة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: «من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»<sup>(٥)</sup>.

وهكذا، يكون جانب التربية، كواحد من جوانب رعاية الشباب في ضوء السنة المشرفة.. ورأينا أنه يقوم على ترسيخ أسس العقيدة والدين الحق في قلوب الشباب

(١) رواه البخارى.

(٢) سورة الضحى ٩ - ١٠.

(٣) سورة الماعون ١ . ٣.

(٤) رواه البخارى.

(٥) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

وعقولهم، وأخذهم بمعانى الإسلام وقيمه، وتربيتهم تربية صحيحة، يستقيم معها سلوكهم وسيرهم فى الحياة.. ثم ننتقل بعد ذلك إلى الجانب الآخر وهو تحمل المسؤولية، أو بعبارة أخرى: جانب العطاء، فإن الجانب السابق هو جانب الأخذ، تتمثل فيه التوجيهات والنصائح، والتربية الصحيحة المستقيمة.

### ثانيا - جانب تحمل المسؤولية:

وتقع على عاتق الشباب مسئولية كبيرة، تبدأ بنفسه وشبابه، فإن المرحلة التى يمر بها الشباب من حياتهم يجب عليهم أن يغتتموها، قبل أن يغزوهم الهرم والمشيب، فيضعفوا عن القيام بمهام الحياة التى نيّطت بهم، وتفلت منهم المرحلة الذهبية فى تحمل المسؤولية وفى عطائهم لأمتهم الإسلامية، وقد حثت السنة الشريفة على اغتنام هذه المرحلة قبل ضياعها، كما يجب اغتنام غيرها من فرص الحياة الكريمة التى يمكن أن نثرى بها قوة الأمة وإنتاجها، والبذل والتضحية والإنفاق والعمل والسعى فى كل دروب الحياة، يجب اغتنام كل هذا.

عن عمر بن ميمون قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»<sup>(١)</sup>. والإنسان مسئول عن هذه المرحلة من حياته، مرحلة الشباب، فيم أبلاها، وكيف قطعها، إنها فترة القوة والنشاط والحيوية، ويمكن للإنسان أن يستغل شبابه الفتى فى كثير من أوجه الحياة النافعة، فى الخير والإصلاح، فى التقوى والعمل الصالح، فى الإنتاج فى كل ما يدفع بموكب الحياة الإنسانية قدما إلى الأمام، وفى كل ما يجعل الحياة تسعد وتزدهر. إنه مسئول عن كل ذلك، فقد منحه الله تعالى هذه القوى الدافقة، ليستغلها فى خيره وخير الإنسانية، أما إن سخرها فى غير ما ينفع نفسه ولا ينفع المجتمع، وتباهى بقوته، ووجهها للفحشاء والمنكر، أو الظلم والعدوان، أو لمصلحة نفسه الخاصة، فغلفها بالأنانية والأثرة فإنه مسئول أيضا عن كل ذلك.

(١) رواه أحمد.

عن أبي بردة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رسول الله ﷺ: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»<sup>(١)</sup>.

وقد أعد الله تعالى منزلة عالية للشباب الذى ينشأ فى طاعة الله، إنه من السبعة الذين يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»<sup>(٢)</sup>.

والإسلام إذ يحمل الشباب المسئولية، ويكلفه بالواجب، إنما يحمله ذلك بعد اكتمال نضجه، ولا يحاسبه إلا بعد بلوغه، أما قبل ذلك فقد رفع القلم عنه.

قال ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبى حتى يكبر»<sup>(٣)</sup> وفى رواية عن على وعمر بلفظ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم»<sup>(٤)</sup>.

\* وقد حرص الرسول ﷺ على توجيه الشباب توجيهها سديدا، وتحميلهم مسئولية الحياة بالزواج وتكوين الأسرة الذى يدفع إلى الكسب والعمل، فوجههم توجيهها يملك عليهم أقطار نفوسهم، ويكبح جماحهم، ويهديهم سواء السبيل فناداهم بالوصف القائم فيهم، الداعى لهم أن يصيخوا السمع ويرهفوا الإحساس إلى ما سيلقى عليهم بعد من توجيهه، فناداهم بوصف الشباب قائلا: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج

(١) رواه البزار، والطبرانى، والترمذى.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والحاكم.

(٤) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له جاء» ففي الزواج العصمة من الزلل والمحافظة من الانزلاق في وحل المعصية أو التردى في مهاوى الفساد فإنه أغض للبصر فيكفه عن النظر إلى ما حرم الله وأحصن للفرج، فتكون به العفة وسلامة الخلق والدين وحماية الأعراض، هذا بالإضافة إلى ما فيه من السكن والمودة والرحمة. وفي طريق تحمل المسؤولية، ينبغي أن يكون اتجاه الشباب على أساس من العقيدة الصحيحة، استعانة بالله وتوكلا عليه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: يا غلام إنى أعلمك كلمات: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف»<sup>(١)</sup>.

\* وفي سبيل تحمل الشباب للمسؤولية، تركز السنة الشريفة على قيام كل شاب قادر بالعمل، وأداء الواجب المنوط به، والسعى على المعاش، فيقوم بالعمل الذى يعف به نفسه، ويؤدى ما وجب عليه حيال أهله وعشيرته، وإن كان له أبوان كبيران وهكذا... بل إن مثل هذا العمل الشريف الرائد، ليعتبر فى سبيل الله، له من المثوبة والمنزلة ما للمجاهد. مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جده ونشاطه، فقالوا: يارسول الله، لو كان هذا فى سبيل الله؟ فقال الرسول: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

وقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم للشباب الذى جاءه يستأذنه فى الجهاد، وضح له قيمة مسئولية العمل من أجل بر الوالدين فقال له: أحى والداك؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد. \* ويتفرع جانب المسؤولية - فى الشباب - من ناحية السعى والكسب، والجد والعمل

(١) رواه الترمذى.

(٢) الترغيب والترهيب.

إلى ناحية الجهاد في سبيل الله، والرمى في سبيل الله، وتعلم الوسائل المساعدة على ذلك. فيقول ﷺ: «علموا أبناءكم السباحة والرمية»<sup>(١)</sup>.

ويوضح قيمة الصناعة الحربية التي تكون في سبيل الله، ومن أجل إعلاء كلمة الحق، وقيمة الرماية، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها، أو قال: كفرها»<sup>(٢)</sup>.

وعن سلمة بن الأكوع قال: مر النبي ﷺ على قوم ينتضلون فقال: «ارموا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال لهم الرسول ﷺ: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم، فقال: ارموا وأنا معكم جميعا»<sup>(٣)</sup>.

\* ثم يتفرع جانب المسؤولية - في الشباب - إلى ناحية الثالثة، هي الناحية الإنسانية، وتلك الناحية تتمثل في التعاون ومساعدة الضعفاء وكبار السن.

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قويض الله له من يكرمه عند سنه»<sup>(٤)</sup>.

ذلك أن من المعلوم أن الصحة نعمة من النعم يجب أن يؤدي صاحبها حقها من المساعدة للضعفاء، ومعاونة كل محتاج وكبير.

يقول الرسول ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الديلمي وابن منده

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه البخارى.

(٤) رواه الترمذى عن أنس.

(٥) رواه البخارى.

## انحرافات الشباب أسبابها ومعالجتها

تظهر أسباب انحراف الشباب تدريجيا على حسب نشأته المتدرجة من المنزل، إلى الشارع، إلى المدرسة، إلى المجتمع، ثم إلى وسائل الإعلام...

✽ أما بالنسبة للمنزل: فترجع أسباب الانحراف منه إلى عدم تمثيل الوالدين للقيم الدينية، وعدم تمسكهم بآداب الإسلام قولاً وعملاً وتطبيقاً، وتربية لأبنائهم، والبيت هو أول مدرسة تنمو فيها عواطف الشاب، وميوله وغرائزه، وعلى الأبوين تقع المسؤولية الأولى بالنسبة للأبناء، فإذا ما رأى الابن أن الأبوين منصرفان عن التعاليم الإسلامية ويهملان شأنها، ولا يعنيان بأخذها بها وتربيته عليها، انطلق من البيت ومعه الميول والنزعات القابلة لأي انحراف بعد، لأنه لم يأخذ الحصانة الأولى من البيت.

✽ ومن هنا فإنه إذا خرج للشارع فوجد انحرافاً ما، أو سلوكاً غير صحيح من بعض الشباب يقاربونه في السن، فإنه لا يجد بأساً في تقليدهم أو السير معهم، ولا يشعر في نفسه بأى امتناع عن سلوك الشر أو أى اعتراض من نفسه، فيسلك ما يسلكون، ويسير فيما يسرون فيه، بل قد يصادفه في الشارع أو في الأماكن العامة مثلاً بعض المظاهر المخالفة للفضيلة، فلا يجد في نفسه إنكاراً لها، بل ربما استهوته تلك المخالفات فأشعلت في نفسه الرغبة في الشر أكثر.

✽ وإذا ما ذهب بعد ذلك إلى المدرسة التقى بمن في سنه فيجد منهم نماذج مختلفة، وطبعا متباينة، فيها الخير، وفيها الشر، فإذا ما زحف الشر عليه، فمن المفروض أن فيما يتلقاه من دروس وفيمن يلتقى بهم من أساتذته من قدوة، كل ذلك يكون من المنتظر منه أن يهذب من سلوكه، وأن يجعله يتخلى عن رذائله، ويتحلى بفضائل جديدة ولكن ضعف التربية وقلة المواد الدينية في بعض المدارس، وعدم كفايتها للقيام بالدور الهام الذي ينبغي أن يكون موجهاً ومربياً، كل ذلك لا يكون من شخصية الشباب النفس الصالحة المهذبة، التي تسير دوماً إلى الخير.

\* ثم إذا تنقل بعد ذلك فى جوانب المجتمع الأخرى، كالنادى أو السوق أو أى موقع آخر، لم يجد فى تلك المواقع من أسباب الخير شيئاً، بقدر ما يرى من أسباب الشر، وفى المعاملة من بيع أو شراء يصادف المخالفات والبعد عن الحقيقة، وفى النادى وفى غير ذلك من الأماكن.

\* وإلى جوار ذلك ما تقوم به المدارس الأجنبية فى بعض البلاد الأخرى من دور فعال، وما تقوم به الإرساليات التبشيرية لتشكيك الشباب المسلم فى عقيدته، وأيضاً فتح المستشفيات والمستوصفات، ودور التمريض وغير ذلك، وإشاعة الدعاية الكاذبة للثقافة الغربية وإبرازها فى مظهر خلاب.. ومع هذه المظاهر تسير المذاهب الهدامة جنباً إلى جنب لنشر المبادئ الفاسدة، كالوجودية والماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها فى بعض البلاد. ولا يقتصر الأمر على ما سبق، بل يساعد على كل ذلك «الفراغ» الذى يعيش فيه بعض الشباب، والذى تهيأ لأن يملأ بأى جديد براق أو أى شئ فيه تسلية له.

\* هذا بالإضافة إلى ما لحق بالأدب نثراً وشعراً أو قصة ومسرحية، من البعد عن الآداب الرفيعة، والقيم العالية، وهبوطه وتشويه فكره بالإباحية فى مختلف الأعمال الأدبية وإشاعة مؤلفات بعض الأدباء الإباحيين فى هذا الصدد، كما هو الحال فى بعض كتاب الأجانب وأصحاب الأقلام المسمومة.

والشيطان وراء أزمة الشباب بالمرصاد، إنه دائب السعى بشتى المظاهر والمحاولات للقضاء على القيم الدينية.

هذا وقد ظهر من تلك الأسباب، ظواهر خطيرة متعددة الأشكال، برزت من بينها النزعة العدوانية على الأنفس والأموال والأعراض. ثم الاستجابة إلى الرغبات اللاإنسانية، من الخيانة والغش والمجاهرة بالمعصية، والانحراف، وعقوق الوالدين، وعقوق الوطن.

\* وظاهرة القمار والمخدرات، وأحياناً يصاب بعض الشباب باليأس حين تضيع من يده الحيل، وينتابه الشك، وتطغى عليه الغرائز فى جموح عجيب، يفقده عقله وعقيدته، مما يدعوه أحياناً إلى التخلص من الحياة، والانسحاب منها فى صورة بعيدة عن الدين والإنسانية والتعقل، وذلك فى ظاهرة الانتحار.

وأحيانا تستهويه المظاهر الكاذبة الذميمة من شباب الغرب، فيحاول تقليدهم، حين يتشبه بالنساء، أو حين تتشبه النساء بالرجال.

وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال<sup>(١)</sup>. وقد يظهر في لبس ما تلبس المرأة، أو تظهر المرأة بما يلبس الرجل.

وقد لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل<sup>(٢)</sup>.

\* هذا وللأيديولوجيات الأجنبية، والتبعية الفكرية الأثر الكبير في تسرب الفكر الأجنبي الدخيل، هذا إلى جانب أن تلك الأيديولوجيات الأجنبية وضعت لمشاكل خاصة لا وجود لها في مجتمعاتنا الإسلامية، لا سيما وقد دلت التجارب العملية في بيئاتها على إفلاسها في علاج ما وضعت له، بل إنها قد أوجدت مشاكل اجتماعية واقتصادية جديدة، هذا وإن بريق تلك الأيديولوجيات بريق خادع لا يمثل إلا الطعم، للإغراء بالوقوع في مخالب الأخطبوط العالمي<sup>(٣)</sup>.

\* والإسلام لا يعادى العلم، أو التقدم الصناعى، بل إنه دين العلم، ولكن يجب أن يتجه بالعلم إلى ما فيه سعادة البشرية وكرامتها وعمارتها، لا إلى ما فيه الهدم والدمار أو ضياع الكرامة الإنسانية.

ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى رسالته: «تحديات العصر الجديد والشباب». «ولتلقوا نظرة عابرة إلى هذا العصر الجديد الذى يقال عنه بمنتهى الاعتزاز والمباهاة، إنه عصر التقدم والرقى، إنه عصر الفكر المتنور، ومما يمتاز به هذا العصر هو تقدمه العلمى وهو على كونه أمرا جديرا بالتقدير والإجلال، يستغل استغلالا فاحشا فى دمار البشرية، وهلاكها وبوارها وشقاؤها أكثر من أن يستغل فى سعادتها وصلاحها.

وبواسطة هذا التقدم العلمى، يبتكر اليوم لإبادة الشعوب بأسرها، أخطر ما يمكن من الأسلحة والأدوات، ويعد لتنكيل الإنسان وتشويه شخصيته من المعدات ما لا مثيل له فى

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) خمس رسائل إلى الشباب والمسلم المعاصر للدكتور محمد البهى دار الفكر ببيروت ص٤٢ وما بعدها.

تاريخ الشيطانية، وتكتشف الجاسوسية أساليب لم يبق أمامها أى معنى لحياة الإنسان الخاصة، وتكرس الدراسات لتوليد الإنسان بطريقة يتولد الإنسان بعدها فى معامل العلم بدون اتصال الأب والأم بطريقة فطرية.

وطبعا المتولدون بتلك الطريقة العلمية سوف لا ينتمون إلى أسرة من الأسر، ولا يميل بعضهم إلى بعض، أو إلى غيرهم من الإنسان ميلا فطريا، ولا يرتبطون بماض له التقاليد المتوارثة، أو البذور الممتدة، وسوف تجهز المصانع الأوادم من كل لون من الألوان، وكل صورة من الصور، وكل شيمة من الشيم، وكل قابلية من القابليات، حسب مبدأ الطلب والعرض فى الأسواق، وتبييعهم للأشخاص أو الشركات والحكومات، بالمفرد أو بالجملة. وهكذا يريد تمرد العلماء الملحدين أن يبلغ من التدهور نهايته، ليفتح على البشرية أحدث عصور الاستعباد وأسوأها، ينحط فيه الإنسان إلى درجة الأغنام والأبقار، بل لعل المصانع سوف تعد للأنظمة المناوئة لكرامة الإنسانية فى العالم أوادم عند الطلب، يكونون أشد افتراسا من الوحوش الضارية، هذا هو التقدم العلمى الذى يفتخر به غاية الافتخار، ويدعى أنه قد سما بالإنسانية إلى آفاق السماء، مع أنه من الحقيقة أنه قدر ما رفع الإنسان قدر ما هبط به، وأنه جلب على الإنسان الويل والثبور، أكثر مما وفر له الخير والحبور»<sup>(١)</sup> أهـ



---

(١) تحديات العصر الجديد والشباب للأستاذ أبو الأعلى المودودى ص ١٣ ط المكتبة العلمية لاهور - باكستان.

## خطوات لعلاج الشباب وحمايتهم من الانحراف

إن أولى خطوات حماية الشباب من الانحراف، وعلاج ما قد يعتريه من ميل أو خطأ، تتمثل الخطوات الأولى في الأسرة وبين الأبوين، حتى يتشرب منذ الصغر روح التدين، وأثار العقيدة الصحيحة والسلوك النقي، بالقدوة من ناحية، وبالتوجيه من الأبوين من ناحية أخرى، ومن المعلوم أن لنصائح الوالدين أثر كبيراً، فهي خلاصة عمر. ووليدة تجارب، يقول موسى بن سعيد العنسى لولده:

واجعل وصاتي نصب عين ولا      تبرح مدى الأيام من فكرتك  
خلاصة العمر التي حنكت      فى ساعة زفت إلى فطنتك  
فللتجارب أمور إذا      طالعتهما تشخذ من غفلتك  
فلا تنم عن وعيها ساعة      فإنها عون إلى يقظتك

ثم بعد ذلك ما ينبغى أن تتضمنه خطبة الجمعة من توجيه أسبوعى رشيد، يتم فيها حصر الشكوك والأوهام التى تساور الشباب وعلاجها، ومحاولة محو الأثر والأثنية، وسائر الرذائل الأخرى، والعناية بغرس الفضائل الإسلامية، من التعاون على البر والتقوى، وحب الخير والبذل، حتى يشبوا على روح التعاون والتعاطف والبذل. ومن أهم ما ينبغى التركيز عليه فى تلك المرحلة: تربية الضمير الدينى، والعناية باتباع التعاليم الدينية الصحيحة، النابعة من العقيدة الصحيحة، وأداء العبادات وإبراز ما تتضمنه من النتائج والآداب وسائر الآثار الحميدة، فإن المرجع فى عظمة شباب السلف، إنما كان يتمثل فى سلامة العقيدة والنشأة الصالحة، فى البيئة الصالحة، فى الأسرة وفى المجتمع.

كما ينبغى أن يعنى المربون والمصلحون بتنمية الجوانب المتعددة فى الشباب، وتقوية الاستعدادات.

وأهم ما يجب أن يتسلح به الشباب فى معركة الحياة «الصر»، ذلك لأنه سيواجهه فى

الحياة صعباً وعقبات، ولا يكفي في حلها ما مارسه الشباب في مدارسهم، ولا في تجارب الطفولة، فهم إذا في حاجة إلى صبر وتحمل، وأشد تلك العقبات: «هوى النفس»<sup>(١)</sup>. وبالجملة: فإن حماية الشباب من الانحراف تتمثل في إزالة تلك الأسباب الماضية للانحراف التي سبق الحديث عنها، وسد المنافذ أمام التيارات المادية الوافدة، التي تحاول أن تستولى على عقول الشباب، والتي هي نتيجة جهود المبشرين والاستعمار، وإنها لمحاولة ظالمة تتجنى على الإسلام وأبناء المسلمين، وتعمل على رسم صورة مشوهة للإسلام في عقول الشباب، فإن الاستعمار يعلم تمام العلم أن عدوه الأول هو الإسلام، يقول أحد المستعمرين في إحدى خطبه وهو يحمل المصحف بيده: «لن يقر للاستعمار قرار ما دام هذا المصحف بين أيدي المسلمين».



---

(١) الإسلام في حياة المسلم للدكتور محمد البهي.

## نماذج من شباب الإسلام

لقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة في قوله وفعله وسلوكه، وفي سائر مراحل حياته، في الطفولة، وفي الشباب، وفيما بعد المبعث، كلها حياة نقية خالصة، لم تشبها شائبة، وما عرف بين القوم إلا بالأمين. ولقد تخرج من الرعيل الأول نماذج كريمة، أخذت عنه واقتدت به، واهتدت بهدى الله سبحانه وتعالى. ومن هؤلاء:

### على بن أبي طالب:

على بن أبي طالب كرم الله وجهه، لقد قام - وهو شاب - بدور فدائي عظيم، حين قدم نفسه قربانا في سبيل عقيدته، وفي سبيل الله ورسوله، لقد بات - ليلة الهجرة - على فراش رسول الله ﷺ، مع أنه كان على علم بمدى الخطر الذي كان يحدث به من كل جانب، قائلا: «والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت على».

### سعد بن أبي وقاص:

وهذا هو سعد بن أبي وقاص نموذج فذ في التضحية من أجل العقيدة، حتى وإن تعارضت مع أعز الناس عليه، ها هو ذا لم يبلغ من العمر عشرين سنة، يقول: «لما أسلمت وكنت رجلا بارا بأمي قالت: يأسعد ما هذا الدين الذي أحدثت؟ لتدعن دينك أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي! فقلت: لا تفعلني يا أمي، فإني لا أدع ديني، ومكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب، فأصبحت وقد جهدت، فقلت: والله لو كان لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت هذا الدين بشئ. فلما رأته ذلك أكلت وشربت، فأنزل الله سبحانه وتعالى: «وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا».

## عبد الله بن عباس:

وهذا عبد الله بن عباس كان فى شبابه يمثّل الذكاء الحاد، والعلم الجم، يقول ابن عباس: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لى معهم، فوجد بعضهم من ذلك، فقالوا: يأذن لهذا الفتى معنا، ومن أبناؤنا من هو مثله، فقال لهم عمر: إنه من قد علمتم - أى من جهة ذكائه ومعرفته - قال: فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم، فسألهم عن هذه السورة: «إذا جاء نصر الله والفتح» فقالوا: أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم إذا فتح عليه أن يستغفره وأن يتوب إليه، فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قلت: ليس كذلك، ولكن أخبر الله نبيه حضور أجله فقال: «إذا جاء نصر الله والفتح» فذلك علامة موتك «فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا» فقال عمر: تلوموننى عليه؟ ثم قال: «ما أعلم منها إلا ما تقول»<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء صفة مختارة من شباب الإسلام أدوا مهاماً فى غاية التضحية، وضربوا بها أروع الأمثلة، إنهم: عبد الله بن أبى بكر، وعامر بن فهيرة، وأسماء بنت أبى بكر.

## عبد الله بن أبى بكر

فأما عبدالله بن أبى بكر: فقد قام - فى ليلة الهجرة - بدور الاستطلاع، فجمع أخبار الأعداء، وهى مهمة من أخطر ما يكون<sup>(٢)</sup>.

## عامر بن فهيرة:

وأما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر: فقد مثل الجنديّة الإسلاميّة فى أسمى معانيها وأدق صورها، حيث قام بتوفير الأمان، فرعى غنم الصديق، ليروح إلى الغار فى الليل، ليأخذوا حاجتهم منها، ويعفى بالغنم آثار المشى إلى الغار، فيضل عنهم الأعداء.

## أسماء بنت أبى بكر:

وأما أسماء بنت أبى بكر: فقامت بدور الفتاة المسلمة، وأدت واجب التضحية على أعظم ما

(١) رواه البخارى. القرطبي ٢٠/٢٣٢.

(٢) انظر كتابنا الهجرة النبوية.

يكون، فقد أتت بسفرتهمما - أى زادهما - ونسيت أن تجعل لها عصاما، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فتحل نطاقها ثم تعلقها به لذلك. سميت ذات النطاقين<sup>(١)</sup>.

### أبو دجانة:

\* ومن شباب الإسلام، من قدم جهودا ضخمة، فى ميدان القتال، وفى ساحة الجهاد فى سبيل الله، فأبلى بلاء حسنا، ذلكم هو: أبو دجانة، ففى يوم أحد أخرج الرسول ﷺ سيفا، فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجل فأمسكه عنه، حتى قام إليه أبو دجانة، فقال: وما حقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى، قال: أنا أخذه يارسول الله بحقه، فأعطاه إياه، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت، وحين رآه الرسول ﷺ يتبختر بين الصفين قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن».

### الزبير بن العوام:

\* وروى عن الزبير بن العوام وكانت سنه إذ ذلك أربعا وثلاثين سنة يقول: غضبت فى نفسى حين سألت رسول الله السيف وأنا ابن عمته، فمنعني، وأعطاه أبا دجانة، فقلت: والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة الموت، فجعل لا يلقي أحدا إلا قتله، قال الزبير: فقلت: الله ورسوله أعلم<sup>(٢)</sup>.

### الخنساء:

ومن النماذج المشرفة فى هذا المجال أيضا: الخنساء وأبناؤها وذلك فى وقعة القادسية، عندما هم المسلمون بفتح فارس، وقد حضرت الخنساء، وأوصت بنبيها الأربعة ليلا بقولها يابنى إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو إنكم بنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، واعلموا أن الدار

(١) ابن هشام ١٣٠/٢.

(٢) من اخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد محمد يوسف.

الآخرة خير من الدار الفانية اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون. فإذا رأيتم الحرب قد شممت عن ساقها وجللت نارا على أرواقها، فتييموا وطييسها، وجالدوا ريسها تتقربوا إلى الله، وتظفروا بالغنم والكرامة، فى دار الخلد والمقامة. فلما أضاء لهم الصبح، باكروا إلى مراكزهم، فتقدموا واحدا بعد واحد، ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم لهم حتى قتلوا عن آخرهم فلما علمت بمصرعهم جميعا قالت: الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته.

ومن خلال تلك النماذج السابقة نستطيع أن نتعرف على ما كان عليه شباب سلفنا من صبر ومصابرة نتيجة إيمان عميق، وعقيدة صحيحة، وسلوك مستقيم، وما اضطلعوا به من جهاد مبرور فى سبيل الحق، ومن أجل رفع راية التوحيد مرفوعة فوق ربوع الأرض. لقد مثلوا نماذج متنوعة، فى جوانب متنوعة، فمنها نماذج فى الجهاد، وأخرى فى العلم والتعليم والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك من المثل والمبادئ والقيم والأهداف التى ترسموا فى سبيلها معالم الدين القيم الذى رباهم على الرشد والهدى، وأنشأهم على العزة والكرامة، ووجههم إلى سعادة الدنيا والآخرة.



## الرشوة محرمة ومن الكبائر

الرشوة، محرمة، ومن الكبائر ولا تخرجها نية صاحبها عن كونها رشوة فما دام دافعها، أراد أن يأخذ حق أخيه وهو ما ليس له حق فيه، فهي رشوة محرمة، لأنه فوّت على أخية الذى أخذ حقه أو مكانه، الفرصة، واستأثر بذلك لنفسه، لأنه يمتلك مالا يدفعه، وأية رشوة أخطر من أخذ مكان الغير فى أداء الفريضة؟ وتلبيس الحق بالباطل؟ إننا لا نريد من الناس أن يسيئوا فى مقام الإحسان.... وليحذر من يتقدم للعبادة أن يرتكب إثما وهو يريد أن يأتى عبادة..

وأذكر هنا النص الذى أورده ابن قدامه، فى كتابه النفيس «المغنى» «الرشوة لأداء الحج أن كان فى الطريق عدو يطلب خفارة، فقد قيل لا يلزمه السعى حينئذ إلى الحج، وإن كان المبلغ الذى سيدفعه يسيرا لأنها رشوة فلا يلزم بذلها فى العبادة، وقيل: إن كان ذلك مما لا يجحف بماله لزمه الحج» انتهى (المغنى لابن قدامه ٦٨/٣، ٢١٩/٣).

«والرشوة المحرمة ما توصل بها إلى إبطال حق أو تمشية باطل أما ما وقع للتوصل لحق أو دفع ظلم فليس برشوه منهيّة» من كتاب «فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمام المناوى».

وأحب أن أنبه الكثيرين الذين يبررون لأنفسهم الرشوة القائلين بأنها ما دامت من أجل الوصول إلى الحق لا تكون رشوة ولا إثم عليها للدافع بل الإثم على الأخذ - أحب أن أنبههم إلى المحاولات الكثيرة لتبريرها، وزعم كل صاحب حاجة بأنه على حق، وحب الشئ يعمى ويصم، وصاحب الحاجة دائما - يرى الحق فى صفه، وغالبا ما يزعم أنه يريد الوصول إلى حقه وتصور له نفسه الأمانة بالسوء أنه صاحب حق وينسى أن أخاه الذى سيأخذ مكانه هو - فى الحقيقة - صاحب الحق لهذا كله كان الحديث النبوى واضحا وصريحا «لعن الله الراشى والمرتشى والرائش» رواه أحمد والترمذى والحاكم.

وقال الإمام الذهبى - عند تعليقه على هذا الحديث: «فيه أن الرشوة كبيرة أه فيض القدير» ج ٥ ص ٢٦٨.

وإنما حكم عليها أنها من الكبائر، لما ورد في شأنها من اللعن الذى هو الطرد من رحمة الله تعالى....

وإنما كان الوعيد واللعن على الرشوة وعلى الوسيط القائم بالتوسط بين الدافع والآخذ، لأن الرشوة تقوم على تبديل أحكام الله، وهى خصلة نشأت من اليهود المستحقين للعنة، فإذا سرت إلى المسلمين استحقوا ذلك وقد ورد النهى عن الرشوة حتى فى التوراة: ففى السفر الثانى منها: «لا تقبلن الرشوة، فإن الرشوة تعمى أبصار الحكام فى القضاء» أ هـ . وقد بلغ تأكيد النهى عن الرشوة والتحذير منها، ومن الاقتراب من حماها أن حرم الإسلام الهدية التى تكون فيها شائبة الرشوة، بأن يقصد بها صاحبها استمالة قلب مسؤل، أو لأجل منفعة خاصة، أو التخلص من تبعه أما الهدية الجائزة فهى التى تكون بين الأقارب والأرحام، أو بين الاصدقاء أو الجيران بشرط أن تكون خالصة المودة لله، وليست لعله أو لمنفعة خاصة....

أما الهدايا التى تكون لعله وغرض وفيها شائبة جلب المصلحة أو أخذ ماليس للإنسان فيه حق فتلك هى الرشوة المقنعة التى قاومها الرسول ﷺ فى أول مهدها: عن أبى حميد الساعدى أنه قال: استعمل النبى ﷺ رجلا من الأزد يقال له: ابن اللتيبة على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إلى، قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول: هذا لكم، وهذا هدية أهديت لى، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتية هديته إن كان صادقا والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حلة إلا لقي الله يحمله يوم القيامة: فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رثى بياض ابطينه، يقول: اللهم قد بلغت» رواه البخارى ومسلم فعلى من كان فى منصب رفيع، أو مركز مرموق، أو كانت فى يده بعض حاجات الناس أن ينأى بنفسه عن مثل هذه الهدايا المقنعة، يوضح ذلك ما أخرجه ابن سعد من طريق فرات بن مسلم قال: اشتهى عمر ابن عبد العزيز التفاح، فلم يجد فى بيته شيئا يشتري به، فركبنا معه، فتلقيه غلمان الدير بأطباق تفاح، فتناول واحدة فشمها ثم رد الأطباق، فقلت له فى ذلك؟ فقال: لاجابة

لى فله؁ فقلت : ألم يكن أبو بكر وعمر يقبلون الهدية؟ فقال : «إنها لأولئك هدية وهي للعمال بعدهم رشوة» أه؁ رواه ابن سعد. فإذا كان تحريم الهدايا التي بها شبهة على هذا النحو فما بالنار بالرشوة الصريحة؟.. ألا فاتقوا الله في حقوق العباد ولا تفتحوا أبواب تحليل الرشوة؁ فأجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار نسأل الله العافية وبالله التوفيق.

□□□

## الشورى فى الإسلام فريضة

الشورى فى الإسلام فريضة، فرضها الله تعالى، ضمانا لحياة سديدة رشيدة، وأمانا للأمة من أن يستبد أحد فيها برأى.. وإذا كانت الشورى مطلوبة فى كل أمر يقدم عليه الفرد أو الجماعة، أو الحاكم أو المحكوم لأنه ما ندم من استشارة ولا خاب من استخار. فإنها تكون أشد طلبا وأعظم باعثا فى أوقات الشدائد والمحن، وفى الحروب والأعمال الكبرى التى تتعلق بها مصائر الأمة، أو مصير جماعة من الجماعات أو قطاع من القطاعات.

ولا يحل لمسئول أن يستبد برأيه، لأن رؤية وحده نتاج عقل واحد وأما آراء الآخرين الذين يستشيرهم فإنها نتاج عقول كثيرة، وكل له فهمه واجتهاده وخبرته ولم يخلق الله تعالى العقول فى مستوى واحد والناس ليسوا سواء ومن هنا كان لأخذ آراء الجميع واستشارتهم أهمية كبرى.

ولأهمية الشورى فى كل أمر ذكرها القرآن الكريم فى صفات المؤمنين الهامة، بعد الصلاة، وقبل الانفاق، فجاءت وسطا بين هاتين العبادتين حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٣٨) <sup>(١)</sup> وأمر الله تعالى بها رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وهو النبى المعصوم، الذى يوحى إليه، ومع هذا أمره الله تعالى أن يستشير أصحابه، وجاء الأمر بذلك بعد غزوة أحد، التى كان رأى من أشاروا بالخروج للحرب على غير ما يحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وحدث فيها ما حدث من بلاء.

ومع هذا كله يقول الله تعالى - مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩) <sup>(٢)</sup>.

وقد طبق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مبدأ الشورى عمليا فاستشار أصحابه رضوان

(١) سورة الشورى ٣٨.

(٢) سورة آل عمران (١٥٩)

الله تعالى عليهم فى الخروج فى غزوة بدر الكبرى واستشار من له خبرة ودراية بالحروب والمواقع الحيوية فى المكان الذى ينزل فيه جيش المسلمين، واستشار فى شأن الأسرى.. إلى غير ذلك من الأمور، مع أنه نبي معصوم، ويوحى إليه من ربه سبحانه وتعالى... وما ذلك إلا لأهمية الشورى ومكانتها فى الإسلام، وأنها فريضة واجبة ولأن فيها تقوية للرأى، وتجميعاً لقلوب من يستشيرهم معه، ودعوة لاجتهادهم فى الأمر وإخلاصهم فيه، وبذل أقصى ما فى الوسع الإنسانى فيما يستشارون فيه.

وحين يكون الذين يستشارون على درجة عالية من الكفاءة فى الشورى والورع والإخلاص والخبرة، فإن الأخذ بالشورى يصبح أمراً واجباً، وملزماً وضرورياً، وذلك لقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما: (لو اجتمعتما فى مشورة لما خالفتكما) رواه أحمد فى المسند.

وعلى كل من تطلب منه المشورة أن يعلم أنه يعلم أنه مؤتمن عليها وأن واجبه أن يصون الأمانة وأن يؤديها بإخلاص وإتقان وألا يشير بهوى أو غرض أو حاجة فى نفسه، وألا يشير بما لا علم له به وأن يكون أميناً فيما يشير به، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «المستشار مؤتمن» رواه أبو داود والترمذى والنسائى.

وعلى من عنده الخبرة والعلم والدراية، ألا يتوقف عن بذل الشورى لسبب ما من الأسباب، فلا يتوقف عن إعطاء الشورى خوفاً من أحد، أو طمعاً فيما عند أحد، بل عليه أن يشير بالحق والصواب ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى فقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه» رواه الطبرانى فى الأوسط ومما يؤكد الشورى واتباع رأى الذين يشيرون على الإنسان ما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن العزم؟

فقال: «مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم» رواه ابن مردويه. فعلى من استشار وعرف طريق الحق والصواب أن يتبعه، وأن يلتزم به، وألا يحيد عنه.

ولقد وعى الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم أهمية الشورى، فجعلها سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول مبدأ له حين تولى الحكم، وفتح للشورى أوسع الأبواب حين

قال - ضمن ما قال: «إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فقوموني».

ورأينا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لا يتخلى عن الشورى طيلة حياته، بل لم تفارقه حتى وهو فى النزاع الأخير لقد كان أول من قرر الشورى فى انتخاب الخليفة، فعندما سألوه، وقالوا له: من توصى به؟ قال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتمنى فى حفرتى، فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة، وأحضر عبدالله بن عمر ولا شئ له من الأمر، ليكون منهم الخليفة.. ولم يشغله ما هو فيه من معاناة عن جمع رأى الأمة ومصحتها، وفى هذا يقول حافظ إبراهيم شاعر النيل رحمه الله تعالى:

يا رافعا راية الشورى وحارسها جزاك ربك خيرا عن محبيها  
لم يلهك النزاع عن تأييد دولتها وللمنية ألام تعانيها  
وما استبد برأى فى حكومته ان الحكومة تغرى مستبديها  
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

ولقد عاش حياته رضى الله عنه، لا يأخذ قرارا ولا يبرم أمرا إلا بعد أن يستشير الكبار والصغار وأهل الرأى والخبرة، وكان يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أخوف ما أخافه عليكم إعجاب المرء برأيه» ومما سبق يتضح لنا أن الشورى ملزمة، وأنه لا بد أن يستشار العلماء وأهل الرأى والخبرة إلى جانب أولى الأمر وبالله التوفيق.

□□□

## من عوامل التعصب: الصلف والجمود

الإسلام هو دين السماحة واليسر، يقر الإجتهد، ويحرم الجمود ويدعو إلى التسامح والتيسير، ويحرم العنف والتعسير، ويحترم المنحة الربانية، التي منحها الله الناس، وهي منحة العقل.

وكان لكل مجتهد فهمه واجتهاده، فلا يصح لمجتهد أن يُخطئ مجتهدا، ولا لصاحب عقل أن يتعصب لرأيه ويحتقر آراء الآخرين.

وإذا كان منهج الإسلام في الدعوة قام على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فلا يصح التعصب لرأى دون آخر، ما دام لم يصادم أصلا من الكتاب والسنة. وإن طلاب الحق، وأهل العلم والمعرفة يتتبعون الحكمة ويأخذونها أنى وجدوها، فهي ضالتهم لا يعينهم من أى وعاء خرجت.

وإذا كان الأمر كذلك، فما السر في انتشار ظواهر التعصب؟ وما الأسباب الجوهرية الكامنة وراء هذه الظواهر؟؟

أقول: إن من أهم وأبرز أسباب التعصب للرأى والجمود على فكر واحد، هو تحكم الصلف والجمود، والكبرياء والجحود، من بعض النفوس الضعيفة والتي تستبد بها آفة الكبر، فتجعلها جامدة على موقفها، متعصبة للرأى الذى تعتنقه، وتصم الآذان عن سماع أحد، لذا كان من الواجب أن نلقى الضوء على دعوة الإسلام للتخلى عن رذيلة الكبر والتخلى بفضيلة التواضع، وبيان آثار الصلف وأسبابه ليتحاشاها الشباب وغيرهم ممن وقعوا فريسة التعصب الأعمى، والجمود البغيض، لذا لزم أن نوضح دعوة الإسلام إلى تنقية النفس الإنسانية من آفات الكبر والغرور ونكشف آثاره السيئة، وأسبابه، ثم نوضح دعوة الإسلام إلى التواضع وبيان ثمراته:

والكبر هو استعلاء الإنسان على غيره من الناس، والترفع على من دونه، وهو مرض خلقى، ورذيلة من أسوأ الرذائل، نهى الإسلام عنها وحذر منها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾<sup>(١)</sup> وقال سبحانه:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾<sup>(٢)</sup>.

والصورة الواضحة فى معنى الكبر تظهر عندما يدفع المتكبر الحق ويرده فلا يقبله، وحين يزدري الناس ويحتقرهم، ولا يحترمهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، وفعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»<sup>(٣)</sup>، ومعنى بطر الحق: رده وعدم قبوله، ومعنى غمط الناس: احتقارهم وعدم احترامهم.

والكبر من صفات الله تعالى، فهو سبحانه: «الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر...» فالعظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى «الكبرياء رداى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى»<sup>(٤)</sup> والكبر يورد صاحبه موارد الهلاك، لأنه يدفع صاحبه إلى كل شر ويبعده عن كل خير. عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكى، فقالوا: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال أبى هذا - يعنى عبد الله بن عمرو - زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله فى النار على وجهه»<sup>(٥)</sup>.

**ومن الآثار السيئة التى تترتب على هذا المرض الخلقى - الكبر - ما يأتى:**

**أولا -** أن الله تعالى يعمى قلب المتكبر، فلا يهتدى إلى الحق ولا يفهم آيات الله تعالى، ولا يتدبر ما فيها، لأن الله تعالى طمس على قلبه عقوبة له على تكبره، وفى هذا

(١) سورة لقمان (١٨).

(٢) سورة الإسراء (٣٧).

(٣) رواه مسلم والترمذى.

(٤) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه.

(٥) رواه أحمد والبيهقى فى شعب الإيمان.

إنذار لكل من تسول له نفسه أن يتكبر وأن العاقبة الوخيمة لكل من يصرف عن آيات الله بسبب تكبره، قال سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup> وقال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً** - أن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، ولا يحظى بكرم الله تعالى إلا من أحبه فالمتكبر بعيد عن الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

**ثالثاً** - يمتد خطر الكبر حتى يصل صاحبه إلى أن يستكبر عن عبادة ربه سبحانه وتعالى، فتكون نهايته جهنم وبئس القرار قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

**رابعاً** - من الآثار التي تعود على المتكبر غضب الله سبحانه، وسوء خاتمته حتى يلقي الله وهو عليه غضبان، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من تعظم في نفسه واختال في مشيئته لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان»<sup>(٥)</sup>.

**خامساً** - أن الله تعالى يعجل للمتكبر العقوبة ويضاعفها له حتى تصل إلى الخسف في الدنيا، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يتبختر في بردته، إذ أعجبتة نفسه، فحسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»<sup>(٦)</sup>.

**سادساً** - أن المتكبر يظل في جهل، وإذا علم شيئاً لا يزداد علمه، لأن كبره يمنعه أن يسأل أهل العلم، وأن يحضر مجالس العلم، وأن يستفسر عما يجهله.. وهذا على عكس الإنسان المتواضع فإنه لا يرى بأساً من أن يأخذ العلم عن العلماء وعمن هو أكبر منه وعمن هو مثله وعمن هو دونه، كما قال بعض سلفنا.

(١) سورة الأعراف (١٤٦).

(٢) سورة غافر (٣٥).

(٣) سورة لقمان (١٨).

(٤) سورة غافر (٦٠).

(٥) رواه الحاكم والطبراني في الكبير واللفظ له.

(٦) رواه البخارى ومسلم.

«لا ينبل الرجل حتى يأخذ العلم عن من هو فوقه وعن من مثله وعن من هو دونه».

**سابعاً -** ومن آثار الكبر السيئة التي تعود على صاحبه بالويل والثبور، أنه يمنع الإنسان من قبول آراء الآخرين ونصائحهم وتوجيهاتهم، فتراه يتعصب لرأيه، أو للرأى الذى يعتنقه ويزعم أن ما عداه من الآراء الأخرى غير صحيح، وأن رأيه هو وحده الصحيح، فيظل جامداً على رأى واحد وفكر معين، لا يقبل غيره، ولا يقبل نصائح الآخرين... وفى هذا التعصب ما فيه من الأضرار التى تضيق ما وسع الله وتمنع الخير عن الإنسان، وعن يحيط به من إخوانه، وبنى جنسه والتعصب هو شر الآثار السيئة التى تأتى نتيجة الكبر والغرور والصلف.

### أسباب التكبر

والذى يدفع الإنسان إلى رذيلة التكبر، هو ضعف إيمانه بالله تعالى إذ لو كان قوى الإيمان بالله، ما تكبر، لأنه يكون حينئذ - مؤمناً بأن الله وحده هو الكبير المتعال، وهو العزيز الجبار المتكبر.

فأول أسباب التكبر، هو ضعف الإيمان بالله، وعدم الإيمان بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وأن الملك فيها لله الواحد القهار، قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن أسباب التكبر التفاخر بالأحساب والأنساب، والله تعالى قد جعل ميزان الأفضلية بتقواه لا بالأحساب ولا بالأنساب «إن إكرمكم عند الله اتقاكم»، وعن أبى بن كعب رضى الله عنه أنه قال: إن رجلين تفاخرا عند النبى ﷺ، فقال أحدهما للآخر: أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبى ﷺ: أفتخر رجلان عند موسى عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: قل للذى افتخر: بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النحل (٢٢).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند.

ومن أسباب التكبر أن يكون الإنسان أكثر عبادة من غيره، وكان عليه أن يدرك أن حسن الخاتمة بيد الله تعالى وحده، ولا يدري أحد من نفسه أيثبت على الطاعة أم لا، ورب معصية أورثت ذلا وصغارا، خير من طاعة أورثت عزا واستكبار وقد روى أن رجلا من بنى إسرائيل أتى عابدا فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد: ارفع فوالله لا يغفر الله لك، فأوحى الله إليه: «أيها المتألى على بل أنت لا يغفر الله لك»<sup>(١)</sup>.

ومن أسباب التكبر: المال وكثرة العرض، وعلى من بيده مال ألا يتعالى على الناس به، بل عليه أن يشكر الرازق فيصرفه في الوجوه المشروعة، فالمال عرض زائل، وهو فتنة لصاحبه، فيكون سبب هلاكه إن طغى وتكبر بسبب المال، ويكون خيرا له إن تواضع به وأعطى حقوق العباد منه، وعليه ألا ينسى أنه من تراب وإلى تراب قال الشاعر:

نسى الطين ساعة أنه طين	حقير فصال تيهها وعربيد
وكسا الخبز جسمه فتباهى	وحوى المال كيسه فتمرد
ياأخى لاتمل بوجهك عنى	ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
أنت فى البردة الموشاة مثلى	فى كسائى الرديم تشقى وتسعد
أمانى كلها من تراب	وأمانيك كلها من عسجد؟
وأمانى كلها للتلاشى	وأمانيك للخلود المؤكد؟
لا فهذى وتلك تأتى وتمضى	كذوبها وأى شئى سرمد؟
أنت مثلى من الثرى وإليه	فلماذا يا صاحبي التيه والصد؟ <sup>(٢)</sup>

وكان على صاحب المال ألا يتعالى على الناس به وألا يتفاخر ويتكاثر بل يخرج زكاة ماله، وينفق منه، «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، فحبذا لو جعل منه صدقة جارية تبقى له بعد موته، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أبو داود.

(٢) الجداول «ديوان شعر إيليا أبو ماضي».

(٣) رواه مسلم والبخارى فى الأدب.

والذى يتكبر بالمال، لا يأمن أن تزول النعمة من يده، أو يهلك ماله، فليس له أن يستعلى على الناس بالمال بل عليه أن يؤدي حق الله وحق العباد.

ومن أسباب التكبر: المنصب والسلطان والجاه، فكثير من الناس يتغيرون فى معاملاتهم إذا ولوا منصبا، وبأخذهم الصلف والغرور، وينسى رفقاء رحلته أيام التعب والخشونة ولكن شأن كرام المؤمنين ألا تغيرهم المناصب وألا ينسوا إخوانهم، كما قال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى الموطن الخشن

وعلى من رأى فى نفسه الاستعلاء بسبب المنصب أن يرى نفسه أصلها وأن يتخلى عن مرض الغرور، ويتحلى بالتواضع فهذا هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخطب فيقول: أيها الناس لقد رأيتنى أرعى الغنم عند خالات لى من بنى مخزوم، فأقبض من التمر والزبيب، فأظل بها يومى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن عبثت نفسك؟ فقال له عمر: ويحك يا ابن عوف إنى خلوت بنفسى فحدثتنى، فقالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها. وها هو عمر بن عبد العزيز كان مع بعض جلسائه فاحتاج السراج إلى إصلاح فقام ليصلحه فقالوا له: كلنا نكفيك ذلك؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قمت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شئ.

وبمثل هذا التصرف الحكيم يعالج العقلاء نزعات النفوس التى توردهم موارد الصلف والغرور، ويعالجون ضعف أنفسهم بالحكمة.

وقد يكون العلم من أسباب التكبر عند بعض الناس، حين لا يطلبه صاحبه لوجه الله، وحين يباهى به الناس أو يتظاهر بأنه أعلم الناس وأعظم الناس، والله تعالى يقول: « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ».

وقد كان الأولى بأهل العلم أن يكونوا أكثر الناس تواضعا، لأنهم أعلم الناس بفضل التواضع، وأدري الناس بنهاية المغرورين والمتكبرين...

وقد كان أهل العلم من سلفنا أكثر الناس تواضعا، وقدوثهم فى ذلك رسول الله ﷺ الذى

كان يستوقفه الرجل والعجوز والصغير والكبير فى الطريق وفى كل مكان فيقف ويجيب كل سائل دون ملل أو تبرم، وكان لسلفنا الصالح نماذج عالية فى هذا المضمار، رأى ابن عباس رضى الله عنهما زيد بن ثابت يوماً يركب دابته فأخذ بركابه يقود به، فقال زيد: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا فقال زيد: أرنى يدك، فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد، وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

وهكذا نرى تواضع العلماء مع كبارهم، وتوقيرهم لهم وتواضع كبارهم وأل بيت النبى ﷺ إنها قمة التواضع والخلق الرفيع والأدب العالى العظيم.

## فضيلة التواضع من دلائل كمال

### الإيمان

وإذا كان التكبر مبعثه ضعف الإيمان، فإن فضيلة التواضع مبعثها كمال الإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الكبر طريقاً إلى الانخفاض وعدم الرفعة فإن التواضع طريق إلى العلو والارتفاع، قال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»<sup>(٢)</sup>. ولطالما طبق صحابة الرسول ﷺ خلق التواضع فى كل تصرفاتهم وسلوكهم، عن طارق قال: «خرج عمر إلى الشام ومعنا أبو عبيدة فأتوا على مخاضة (مستنقع) وعمر على عاتقة له، فنزل وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين: أنت تفعل هذا؟ ما يسرنى أن أهل البلد استشرفوك فقال أوه لو قال ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة

(١) سورة الفرقان ٦٣.

(٢) رواه مسلم والترمذى.

محمد، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»<sup>(١)</sup>.  
 وقد خاطب رب العزة رسوله ﷺ بقوله: ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَّا لِنْتَ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وقال:  
 ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

## ثمرات التواضع

من أهم ثمرات التواضع رضا الله تعالى عن المتواضعين، وإكرامه لهم ورفعته لدرجاتهم،  
 فمن تواضع لله رفعه الله، كما جاء في الحديث: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».  
 ومن ثمرات التواضع: منع التفاخر والبغي والظلم بين العباد، فكم من الظالمين دفعهم  
 كبرهم وغرورهم إلى ظلم إخوانهم، قال ﷺ: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر  
 أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»<sup>(٤)</sup>.  
 ومن ثمراته: حب الناس للمتواضع، لأنه يمشى على الأرض هونا ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ  
 الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(٥)</sup>.  
 ومن ثمرات التواضع سلوك سبيل الجنة، على عكس الكبر فإن فيه سلوك طريق النار،  
 قال رسول الله ﷺ:  
 «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».



(١) رواه الحاكم.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) سورة الشعراء ٢١٥.

(٤) رواه مسلم وأبو داود.

(٥) سورة الفرقان ٦٣.

## سماحة التشريع الإسلامى

### سر انتشاره

من أبرز سمات التشريع الإسلامى : سماحته ويسر أحكامه فليس فيه حرج ولا مشقة ، ولا عسر ولا تغير بل فيه اليسر والرحمة ، والخير والتبشير... والذى يتصفح تعاليم الإسلام يرى هذه الحقيقة واضحة بأجلى معانيها وأوضح صورها ونماذجها فى العقيدة والعبادة والمعاملة. أما فى العقيدة: فليس فيها تعقيد ولا غموض، ولا نظرية جائحة ولا فلسفة حائرة، بل تتركز عقيدته فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره.... وليس فى عقيدته إيمان بما جاء به البشر بل إيمان بما أنزله الله على رسوله ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> وليس فى عقيدته عصبية ممقوتة بل احترام لما أنزله الله وإيمان به واحترام لجميع رسل الله تعالى وإيمان بهم دون تفریق بين أحد من رسله ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

**وأما فى العبادة:** فهى عبادة ميسورة، فى وسع كل إنسان أن يأتى بها فلا صعوبة فيها ولم يكلف الله تعالى عباده إلا بما هو فى وسعهم ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(٣)</sup> ... وقد شرع الله العبادة وأحكامها ومع يسرها، فقد رفع الحرج عنها ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٤)</sup> فمن لم يستطع الوضوء بالماء لتعب أو مرض أو جرح يمنعه من الماء أو لأنه لم يجد الماء بل فقد شرع الله له التيمم بالتراب الطاهر...

﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾<sup>(٥)</sup> وشرع الله الصلاة، وما فيها من قيام وقعود، وركوع وسجود، ومع يسر هذه العبادة، فقد رفع الحرج عنها، ورخص لغير القادر على

(١) سورة البقرة ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة ٢٨٦.

(٤) سورة الحج ٧٨.

(٥) سورة النساء ٤٣.

القيام أن يصلى من قعود، ولغير القادر على أدائها من قعود أن يؤديها مضطجعا ولغير القادر على أدائها مضطجعا أن يؤديها بإشارة رأسه ولغير القادر على ذلك أن يشير برموش عينيه ولغير القادر على ذلك يجرى أركان الصلاة على قلبه ولا يتركها ما دام عقله ثابتا لأنها الصلة بينه وبين خالقه، فانظر إلى أى مدى وصل اليسر ورفع الحرج أن يكتفى بأن يجرى الأركان على قلبه عند عجزه عن الحالات السابقة؟ إنها الرحمة الإلهية ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾<sup>(١)</sup>.

**وأما عبادة الصيام:** فقد رخص الله تعالى للمريض والمسافر سفرا طويلا أن يفطر ويقضى الصوم فى أيام أخر قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وكذلك رخص للحامل والمرضع فى الإفطار والقضاء من أيام أخر.

### وأما فى الحج:

فإنه لم يشرعه فى كل شهر ولا فى كل سنة بل أوجبه الله تعالى مرة واحدة فى العمر كله، ولم يفرضه على الجميع بل على المستطيع فحسب، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>. وإذا نظرنا إلى سماحة الإسلام فى المعاملات، وجدنا الهدى النبوى يرشد إلى السماحة فى كل المعاملات من بيع أو شراء أو اقتضاء، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» رواه البخارى، وإقرارا لروح السماحة والتراحم بين العباد فى معاملاتهم، ينبئنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن ثمرة ذلك فى الآخرة حيث يتجاوز الله تعالى عن عباده الذين يتجاوزون ويتسامحون مع عباد الله، روى البخارى بسنده أن

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة البقرة ١٨٤.

(٣) سورة آل عمران ٩٧.

حذيفة رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: كنت أمر فتيانى أن ينتظروا المعسر، ويتجاوزوا عن الموسر قال: فتجاوز الله عنه» وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من أراد أن... تستجاب دعوته، أو تكشف كربته فليفرج عن معسر». وكما راعى الإسلام السماحة فى العقيدة والعبادة والمعاملات فإنه راعى السماحة فى معاملة المسلمين لغيرهم ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(١)</sup>. بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ما داموا فى دار الإسلام وهذا الحق الذى قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى فى معاملة الأقليات الإسلامية حماية لهم وتمكيناً لعباداتهم حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة. ولننظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهدين قال رسول الله ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة» رواه البيهقى. ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: «أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم».. وإرساء لأسس التعاون والتواصل بين عنصرى الأمة أحل الله طعامهم فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وشرع الزواج بالمرأة الكتابية ولا رابطة فى الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على انتشار الإسلام بسماحه وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين، هذه الواقعة التى حدثت بين الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وبين أهل الكتاب، وذلك عندما فقد الإمام على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ درعه، ثم وجدها عند هذا الرجل الكتابى، فجاء به إلى القاضى شريح قائلاً: إنها درعى ولم أبع ولم أهب فسأل القاضى شريح الرجل الكتابى

(١) سورة المتحنة ٨.

(٢) سورة المائدة ٥.

(٣) سورة المائدة ٥.

قائلا: «ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟». فقال الرجل: ما الدرع إلا درعى، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب. فالتفت القاضى شريح إلى الإمام على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله: «يا أمير المؤمنين هل من بينه؟» فضحك على وقال أصاب شريح ماى بينه، فقضى بالدرع للرجل، فأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء... أمير المؤمنين يديننى إلى قاضيه فيقضى عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، فقال الإمام على رضى الله عنه: «أما إذا أسلمت فهى لك»....

وهكذا نرى كيف وصلت سماحة الإسلام إلى هذا المدى الذى يقف فيه أمير المؤمنين نفسه أمام القاضى مع رجل من أهل الكتاب ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضى طالبه بالبينة، وهذا أمر جعل أمير المؤمنين يضحك، لأنه على حق، وليس معه بينة، وواضح أنه المدعى، والبينة على المدعى واليمين على من أنكر ثم تكون النهاية: أن يحكم القاضى للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة... إن هذه المعاملة السمحة، التى لا يفرق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب، جعلت الرجل يفكر فى هذا الدين ويتملكه الإعجاب بهذا الدين، الذى يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه ويحكم قاضيه عليه لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع فأنطق الله الرجل أن يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء... وقال أشهد أن إلا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. ويعترف ويقر بالحقيقة قائلا: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش، وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه وقد أترف وأحب الإسلام ودخل فيه جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلا: أما إذا أسلمت فهى لك إنها صورة من صور القضاء فى قمة عدالته حيث يساوى بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين، وصورة من سماحة الإسلام فى ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين لا له، إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين، هى التى قربت الإسلام إلى الناس وجعلتهم يدخلون فى دين الله أفواجا. أما صور التعصب الممقوت التى يساء فيها إلى الإسلام فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول

فيه ، بل تدفعهم إلى النفور منه... ومن أجل هذا كان القرآن الكريم يجلى هذه الحقيقة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup> وأيضا لا حرج فيه ولا مشقة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح لا إلى العسر والغلظة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان التسامح وحسن المعاملة وعدم التعصب ، أمورا مطلوبة من المسلمين في معاملتهم مع غير المسلمين ، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين ، حتى يتم معاملة كل طرف للآخر في دائرة التعاون والتضامن فلا يسىء أحدهم إلى الآخر بل يتعاملون بروح الفريق الواحد في الوطن الواحد.



---

(١) سورة البقرة ٢٥٦.

(٢) سورة الحج ٧٨.

(٣) سورة البقرة ١٨٥.

## وسطية الإسلام

### وسطية الأمة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup>. والوسط: الخيار والأجود، ولما أنعم الله على هذه الأمة بنعمة الوسطية فكانت خير الأمم، خصها سبحانه وتعالى بأكمل الشرائع وأوضح المناهج وأيسر التكاليف وأوضحها، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>. وفيما رواه الإمام أحمد - بسنده - عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فذلك قوله: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» قال: والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم»<sup>(٣)</sup>. وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجئ النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم هذا، فيقولون: لا فيقال له هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله عز وجل «وكذلك جعلناكم أمة وسطا». والآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى حين حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبله إبراهيم عليه السلام واختارها لهم ليجعلهم خيار الأمم، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون لهذه

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) سورة الحج ٧٨.

(٣) رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه من طريق الأعمش.

الأمة بالفضل وواضح أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهل المدينة اليهود، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها ﷺ بضعة عشر شهرا، وكان يحب قبلة إبراهيم، فكان يتوجه بالدعاء إلى ربه سبحانه وتعالى وينظر إلى السماء فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان عليه الصلاة والسلام قبل هجرته قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمر الله بالتوجه إلى بيت المقدس.

وكان الأمر باتجاهه إلى بيت المقدس من الله تعالى، وكان التحويل إلى الكعبة من الله ووافق رغبة رسول الله ﷺ، فقد شرع الله التوجه إلى بيت القدس ثم شرع التحول إلى الكعبة، ليظهر من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه، قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت وكان الذى قدمات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر

(١) سورة البقرة ١٤٤.

(٢) سورة البقرة ١٤٣.

ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

## وسطية المكان:

والكعبة المشرفة التي هي قبلة المسلمين، هي في البقعة المباركة والمكان الوسط، فهي في وسط الكوكب الأرضي، تتوسط دنيا الناس شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.. وهكذا اختار الله تعالى مكان رسالته، وموقع قبلة الصلاة، ومهبط الوحي، هذا المكان الوسط، الذي يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ويتناسب مع الرسالة العامة الخالدة، لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم. وهكذا اقتضت الحكمة الربانية، أن يكون المكان وسطا في جغرافية الأرض، لتتمكن الدعوة أن تنتشر في ربوع الأرض، وتؤدي أمة الإسلام أمانة التبليغ التي حملها الله تعالى إياها، حيث نزل الوحي- قرأنا وسنة- بلسان عربي مبين، وفي أمة عربية، وفي مكان وسط العالم، كل هذا يؤكد وجوب تبليغ الأمانة التي كلف الله تعالى هذه الأمة بها، وشرفها بإنزال الوحي على أرضها وإرسال رسول من أنفسهم، وقيام القبلة - الكعبة المشرفة - في هذا المكان الطاهر والحرم الأمن في قلب العالم..

وهكذا تتكشف حقيقة نزول الوحي الإلهي في البلد الحرام، والقبلة المشرفة داخل المسجد الحرام، فمكة المكرمة هي مركز الكرة الأرضية ووسط العالم بأسره. وإن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup> يحدد لهذه الأمة دورها في النهوض بالبشرية ورسالتها في قيادة القافلة الإنسانية، فبذلك تتبوأ مكانتها كخير أمة أخرجت للناس، شاء الله لها أن تكون أمينة على رسالة السماء وشاهدة على الناس.

وحين تتخلى عن هذه الرسالة، أو تخل بواجبها تكون قد حرمت نفسها من خيريتها، ومن كونها الأمة الوسط، وفقدت كيائها المعنوي ودورها الريادي بين الأمم. ويستوجب القرآن على هذه الأمة عبادة الله، والجهاد في سبيل الله حق جهاده، لأنه

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) سورة البقرة ١٤٨.

اختارهم واصطفاهم على سائر الأمم، وكلفهم بشريعة لا حرج فيها ولا مشقة، ولا ضيق ولا عسر، إنها الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام، وقد سماهم الله المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة، وفي هذا أى القرآن قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾.

أى أن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطا عدولا وخيارا، ليكونوا شهداء على الناس وعلى جميع الأمم، لأن جميع الأمم معترفة بفضل هذه الأمة على كل أمة سواها، ولذلك تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة فى أن كل رسول بلغ قومه، ويشهد رسول الله ﷺ على هذه الأمة أنه بلغها ذلك..

وفى مقابل هذه المنزلة التى بوأها الله تعالى لهذه الأمة، وفى مقابل النعمة على الأمة أن تقوم بشكر ربها سبحانه وتعالى، وما أوجبه الله عليها من عبادة وطاعة ومن أهمها الصلاة والزكاة، «وعليهم أن يعتصموا بالله وأن يعتصموا به ويتكولوا عليه»... ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾.

### وسطية الزمان:

لم تأت رسالة الإسلام الخاتمة فى أول تاريخ البشرية ولا فى آخره بل جاءت فى الوسط لتكون مصدقة ومهيمنة وحارسة لما جاءت به الرسائل السماوية السالفة.

### وسطية العقيدة:

ووسطية العقيدة تعنى أنها عقيدة عادلة خيرة، يؤمن العباد فيها بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحدا إيمانا لا تمثيل فيه ولا تعطيل، لأن الله تعالى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير.

(١) سورة الحج ٧٧ - ٧٨.

(٢) سورة الحج ٧٨.

ويؤمن العباد بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وسلم بأنه رسول الله وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة وهدى الأمة وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ويؤمنون بأنه ليس في درجة فوق النبوة والرسالة كما يزعم بعض الضالين في أنبيائهم أنهم وصلوا إلى درجة الألوهية وليس في درجة سائر البشر فهو بشر ولكنه يوحى إليه ومرسل من ربه ولذا ورد عنه صلوات الله وسلامه النهى عن الغلو في اطرائه حيث قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» ويؤمنون أنه خاتم الأنبياء والمرسلين. وكما تتجلى وسطية العقيدة في عدم التمثيل والتعطيل في الصفات فإنها تتجلى أيضا في الإيمان بالقدر، فنرى أهل السنة يرفضون رأى الجبرية الذين يقولون إن الإنسان مجبور على عمله كما يرفضون رأى القدرين الذين يقولون بإنكار القدر، ووقف أهل السنة والجماعة موقفا وسطا، فيثبتون أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ويؤمنون أيضا بأن للعباد قدرة واختيارا، أي أنهم يقفون موقفا وسطا بين الذين ينفون اختيار العبد والذين ينفون القدر، فيؤمنون بأن الله على كل شيء قدير، وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يريد، ويؤمنون بأن للعبد قدرة واختيارا.

### وسطية العبادة:

وجاءت عبادات الإسلام ميسرة ووسطا فلا هي صعبة يشق على العباد أن يأتوا بها، ولا هي بسيطة جدا بحيث لا تترك في النفس كبير أثر، وإنما جاءت وسطا ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(١)</sup>. فما كلف الله تعالى عباده إلا بما كان في استطاعتهم أن يفعلوه، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالصلاة لم يفرضها الله في كل ساعة، ولم تكن ركعاتها كثيرة وشاقة ولم تكن أيضا قليلة أو في وقت واحد أو اثنين فحسب، بل كانت وسطا تجمع بين الليل والنهار وهي خمس صلوات في اليوم والليلة.

والصوم لم يكن للعام ولا لعدة شهور، ولكن فرض الله تعالى صيام شهر واحد في السنة

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

(٢) سورة التغابن ١٦.

كلها وهو شهر رمضان ولم يكن صوم اليوم شاملا بل كان الصوم من الفجر إلى غروب الشمس . ولم تكن الزكاة ضارة بحال الفقير ولا بحال صاحب المال ، بل فاوت الله في مقادير الزكاة حسب الجهد الذى يبذله صاحب المال فما كان من جهود كثيرة كالنقد وعروض التجارة قل مقدار ما يخرج منه صاحب المال من الزكاة وما كان أقل جهدا كالركاز يزيد مقدار ما يخرج منه للزكاة ، ففي زكاة النقدين وعروض التجارة يخرج ربع العشر وفى الركاز يخرج الخمس . وأيضا فى زكاة الزروع والثمار : فما كان منها يسقى بالألة يخرج منه نصف العشر . وما كان منها يسقى بغير آله ففيه العشر . . وهكذا كلما كان الجهد المبذول أكثر كان مقدار الزكاة أقل ، وكلما كان الجهد المبذول أقل كان مقدار الزكاة أكثر .

وعباداة الحج لم يفرضها الله ولم يوجبها إلا على المستطيع ولم يفرضها مرتين أو أكثر بل فرضها على المستطيع مرة واحدة فى العمر كله .

وهكذا كانت جميع التكاليف الشرعية ، لا إفراط فيها ولا تفريط ، ولا غلو فيها ولا تقصير ، بل جاءت وسطا يستطيع كل مكلف أن يأتى بها .

### وسطية الأخلاق:

وإذا نظرنا إلى الأخلاق فى الإسلام وجدنا أنها جاءت وسطا ، فكل فضيلة من الفضائل وسط بين رذيلتين ، فضيلة الكرم وسط بين التبذير إذا كان هناك إفراط ، وبين «البخل» إذا كان هناك تفريط . وفضيلة «الشجاعة» وسط بين «التهور» إذا كان الإفراط ، وبين «الجبن» «إذا كان التفريط» وهكذا .

### وسطية الروح والجسد:

لقد عنى الإسلام برعاية الجسد ورعاية الروح ولم تتركز عنايته لجانب دون الآخر ، فدعا الإسلام إلى متطلبات الجسد فى الحلال بعيدا عما حرم الله ، وفى الحديث : «... وإن لجسدك عليك حقا»<sup>(١)</sup> .

(١) رواه البخارى .

ولم يحرم الزينة الحلال ولا الطيبات من الرزق، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾<sup>(١)</sup>. ودعا إلى وسائل القوة كالرماية والسباحة وركوب الخيل والرياضة البدنية.

كما عنى بالجانب الروحي بالعبادات والالتجاء إلى الله والتوجه إليه بالدعاء، وتوثيق الصلة الدائمة بالله تعالى ومراقبته في السر والعلانية وتواصل الرعاية بالبدن والروح والتوازن بينهما بحيث لا يطغى جانب الجسد والمادة على الروح، ولا يطغى جانب الروح على الجسد بل يكون الإنسان في الوسط وهو الاعتدال بين متطلبات الجانبين، ولقد وجه الرسول ﷺ إلى هذه الوسطية والاعتدال بين متطلبات الروح والجسد فعندما علم انهماك عبد الله بن عمرو بن العاص في العبادة، قال له: «ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال عبدالله: فقلت: بلى يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام: «فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجتك عليك حقا، وإن لزوارك عليك حقا»<sup>(٢)</sup>.

### وسطية المنهج في الدعوة:

وجاء منهج الدعوة الإسلامية وسطا، لا إكراه فيه ولا تشديد، ولا تهاون فيه ولا تفريط وإنما دعوة تتناسب مع معادن الناس وأحوالهم، وتقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٣)</sup>. كما يقوم منهج الدعوة على اللين في القول، وعدم التشدد أو التزمتم فقد قال الله تعالى: «فقلوا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى».

ولقد وعظ أحد الواعظين المأمون فأغلظ له في القول، فقال: يارجل (ارفق) فقد بعث الله من هو خير منك - يريد موسى وهارون عليهما السلام إلى من هو شرمني - يريد فرعون

(١) سورة الأعراف ٣٢.

(٢) رواه البخارى.

(٣) سورة النحل ١٢٥.

– فأمرهما بالرفق واللين فقال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(١)</sup>.  
وتقتضى وسطية المنهج الدعوة باللين والتدرج والتؤدة، وعدم التفريط والطفرة والعجلة.

دوايت متئدا وداووا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء

فالتدرج في الدعوة وعدم الطفرة هي سمة المنهج الإسلامي في الدعوة، وقد روى عن  
عمر بن عبد العزيز أن ابنه عبد الملك قال له: مالك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أن  
القدور غلت بى وبك فى الحق، فقال له عمر: «لاتعجل يا بنى، فإن الله ذم الخمر فى  
القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة، وإنى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه  
جملة ويكون من ذا فتنة».



---

(١) سورة طه ٤٤.

## دعوة الإسلام إلى حب الأوطان

إن محبة الأوطان من دلائل الإيمان، فما شرع الجهاد في سبيل الله إلا دفاعاً عن العقيدة والأوطان، ورداً للظلم والطغيان، وتأميناً لدعوة الإيمان، ونشراً للسلام والأمان. ومما لاشك فيه أن في الجهاد بذلاً للمهج والأرواح في سبيل الدفاع عن الدين والأوطان.

وللأوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق  
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

وقدوتنا في حب الأوطان هو سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فعندما خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة نظر إلى البيت الحرام نظرات حانية ثم قال مخاطباً مكة المكرمة، بلد الله الحرام ومسقط رأسه ومنزل الوحي وقبلة المسلمين: «والله إنك لأحب أرض الله إلى، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولو لا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».

ثم توجه الرسول ﷺ إلى الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء: «الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً، اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام. اللهم اصحبني في سفرى واخلفني في أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللى، وعلى صالح خلقى فقونى، وإليك ربى فحببنى، وإلى الناس فلا تكلنى».

رب المستضعفين، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقته له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل على غضبك وتنزل بى سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نعمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندى خيراً ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وفى قوله ﷺ لمكة: «إنك لأحب أرض الله إلى...» ما يدل على حبه لها، وعدم رغبته عنها إلا للضرورة، ولذلك لما خرج عليه الصلاة والسلام من مكة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾<sup>(١)</sup> قال: إلى مكة.

ومما يدل على أن حب الوطن من الإيمان، قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا﴾<sup>(٢)</sup> والناس يحبون أوطانهم ففيها حياتهم وتشأنهم وبها تعلق عواطفهم، وفيها تواصل الأرحام والاحسان إلى أهل الوطن من فقراء ومحتاجين، وفي كل جزء في الوطن عاطفة للانسان ترتبط به ولا تفرط فيه.

وإذا كانت مكة وطنا أول لرسول الله ﷺ فإن المدينة المنورة كانت الوطن الثاني الذي هاجر إليه، ودعا للمدينة ولأهلها ودعا بالبركة فيها حيث قال: «وأجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة».

وتتجلى محبته صلوات الله وسلامه عليه للمدينة، ومحبة أهل المدينة إليه في استقبالهم وحفاوتهم به وبالمهاجرين من أول لحظة قدم فيها المدينة كما تتجلى محبته للمدينة ومحبة أهلها له بعد أن فتح الله تعالى عليه مكة وفرح بالفتح فرحا عظيما، وكان حفيا بالكعبة المشرفة وبالمسجد الحرام.. وعندئذ خاف الأنصار أن يقيم رسول الله ﷺ في مكة.

ولا يرجع إلى أهل المدينة فيحرمون منه، فقال بعضهم لبعض: أما الرجل فأدر كته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته، أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فأوحى الله إليه بما جرى، فذهب رسول الله ﷺ صلوات الله وسلامه عليه إليهم، فأخبرهم بما قالوا: فأقروا، فطمأنهم قائلا: «كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم».

فأقبلوا اليه يبكون ويقولون «والله ما قلنا إلا الضن بالله ورسوله». فقال رسول الله ﷺ صلوات الله وسلامه عليه: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».

هذا هو النموذج الأمثل في حب الوطن والتعلق به، والوفاء له والانتماء الصادق إلى العقيدة الحقة التي تدعو إلى حبه وصدق الانتماء إليه وهذا يجعل الناس ينافحون عنه وينتصرون

(١) سورة القصص ٨٥.

(٢) سورة البقرة ٢٤٦.

له ، ويضحون بالنفس والنفيس فى سبيله وتكون خيانتة أو التفريط فى حقه فى الأمن والاستقرار من الخيانة العظمى التى تورط صاحبها موارد الهلاك .  
إن حب الوطن ، يدعو كل مؤمن صادق الإيمان ، أن يكون وفيا لتراب الوطن الذى نشأ عليه ، وأن يصونه من كل غائلة ومن كل ترويع أو اضطراب فلا إيمان لمن لا أمانه له ، ولا دين لمن لا عهد له .  
إن سمات المؤمن أن يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم بل يكون اسمه نداء النجدة للمكروبين والمفزعين ويكون فى جواره الأمن والطمأنينة .  
وإن الإسلام حين يدعو إلى حب الأوطان ونشر الطمأنينة فيها والأمان إنما يقرر المبدأ الإسلامى الذى يجب أن يسود فى الأرض وهو مبدأ الحرية والسلام والأمن والاستقرار بل إن الإسلام قرر مبدأ الجوار ، ومبدأ الامن لمن يجير إنسانا ولو كان كافرا ، فلا تمتد يد بسوء إليه .

فقد كانت السيدة أم هانىء بنت أبى طالب زوج هبيرة بن أبى وهب المخزومى قد أجارت بعض أقارب زوجها ، بعد الفتح وهما : الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية المخزومى ، فدخل عليها أخوها على بن أبى طالب رضى الله عنه ، يريد أن يقتل الرجلين فمنعته أم هانىء ، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ ، وهو فى مكة ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : «مرحبا بك وأهلا يا أم هانىء ما جاء بك؟» . فقالت : يا نبي الله كنت أنتم رجلين من أحمائي فأراد على قتلهما ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : «قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء» .

فماذا كانت نتيجة هذا الجوار والأمان لهذين الرجلين؟

لقد أسلم الحارث وزهير وكانا عوناً للإسلام وأهله وهكذا كانت ثمرة تعاليم الإسلام فى دعواتها إلى الأمن والاطمئنان ، وحب الأوطان ، ولله در القائل :

بلادى وإن جارت على عزيزة وأهلى وان ضنوا على كرام

ومعنى هذا أن الإنسان يعز عليه أن تشقى بلاده ، وحتى لو فرض وأنها جارت عليه ، أو ناله منها عسف أو تعب أو نصب ، فإنها مع هذا عزيزة على الإنسان لا يرضى لها الضياع ولا الهوان ومعلوم أن الوطن بمؤسساته وتراثه وبحضاراته وخيراته لا تكون هذه الأشياء

هي الجائرة، ولكن مراد الشاعر أن الذين فيها قد يجورون فلا يصح أن يكون هذا مسوغاً للإنسان أن يكره الوطن برمته ولا أن يكون حرباً عليه، بل تظل بلاده عزيزة عليه. كما أن أهل الإنسان وعشيرته قد يبخلون عليه، فلا يكون بخلهم أو بخل أحدهم على الإنسان مسوغاً له أن يبغضهم، بل عليه أن ينظر إلى زوايا أخرى ناله من خلالها وبسببهم خير كثير، فقد تربي بخيرهم ونشأ في جوارهم وإن ضنوا عليه في جانب، فقد كانوا كراماً في جوانب أخرى. ومن هنا تغنى الشعراء بحب الأوطان وبالتفاني في سبيل رفعتها وسوددها:

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

إن الإنسان المؤمن، يحب وطنه ويظل وفياله، منافحاً عنه وعوناً لأهله في السراء والضراء يعز عليه أن يشقى الوطن أو أحد أهله مهما كانت الأحوال

دم الأهل والقربي وإن كان ظالماً عزيز علينا أن نراه يسيئ

إن الإنسان المؤمن، محب لوطنه، وفي له متعاون مع أهله مدافع عنه يعز عليه عنت الوطن أو شقاؤه أو ترويعه أو إرهاب أحد بنيه بل يحب له الخير والسلام، والأمن والاستقرار، فالمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، روى الدينوري، عن الأصمعي قال: قالت الهند:

«ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان:

الإبل تحن إلى أوطانها، وإن كان بعيداً، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجذباً، وللإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً».

وعن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يقول:

«إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه؟ وتشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه».



## أسس العمل الإدارى الناجح فى ميزان الإسلام

الإسلام دين العمل الناجح ، والنافع للفرد والمجتمع ، وللدنيا وللأخرى.. فالإسلام لا يدعو أتباعه إلى العمل مطلقا دون اتفاق ونجاح بل إنه يدعو إلى العمل الناجح المفيد المتقن ، كما قال رسول الله ﷺ : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» . والعمل فى الإسلام لا يقتصر على الفرد الذى يقوم به فحسب بل إن عمل الفرد يمثل جزءا من العمل الجماعى ، ولذا فإن الإسلام يستهدف من نفع العمل الفرد والمجتمع ، فلا يقتصر نفعه على الفرد الذى يقوم به فحسب بل يشمل ذلك الفرد والمجتمع .. وفى بعض الأحوال قد لا يكون الفرد فى حاجة إلى العمل لأنه غنى وذو مال ، ولكن الإسلام يفرض عليه العمل لحاجة المجتمع اليه وليشارك فى عمارة الحياة ، ولأنه قد يملك من المواهب ما يحتاج المجتمع اليه لإضافة جديد إلى العمل ، وللنهوض به قدما إلى الأمام . كما أن العمل فى الإسلام ليس أمرا خاصا بالدنيا فحسب ، وإن كانت الدنيا زمنه الذى يحدث فيه إلا أن الإسلام ينظر إليه على أنه للدنيا بعمارتها ، وللآخرة بالثوبة والأجر عليه... ولا يقتصر هذا الأجر على عمل دون غيره ، بل إن العمل فى الإسلام شامل للعمل اليدوى والعمل الذهنى والعمل الإدارى والزراعى والصناعى والتجارى وهكذا... وإذا نظرنا إلى نوع من أهم أنواع العمل ، وهو «العمل الإدارى» ، رأينا أن الإسلام قد أولاه عناية فائقة ، فى تصحيح مساره فوجه المسئول عن العمل أيا كان موقعه أن يستشير الذين يعملون معه ، وأن يأخذ برأيهم ويستأنس بفكرهم .

### الشورى فى العمل الإدارى:

وإذا كانت الشورى مطلوبة فى كل أمر يقدم عليه الإنسان ، لأنه لاخاب من استخار ولاندم من استشار ، فإنها تكون أشد طلبا ، وأعظم باعثا فى العمل الإدارى ، وخاصة قبل اتخاذ القرار ، وألا يستبد مسئول برأيه ، لأن رأيه وحده نتاج عقل واحد ، وأما آراء الآخرين فإنها نتاج عقول

كثيرة، وكل له فهمه واجتهاده وخبرته ولأهمية الشورى فى كل . أمر ذكرها القرآن الكريم فى صفات المؤمنين الهامة بعد الصلاة وقبل الإنفاق فجاءت وسطا بين هاتين الفريضتين ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وأمر الله تعالى بها رسولهُ ﷺ وهو النبى المعصوم، الذى يوحى إليه، ومع هذا أمره الله تعالى أن يستشير أصحابه، وجاء الأمر بذلك بعد غزوة أحد التى كان رأى من أشاروا بالخروج للحرب على غير ما يحب الرسول ﷺ وحدث فيها ما حدث من بلاء، ومع هذا يقول الله تعالى مخاطبا رسوله ﷺ : «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفذوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله» .

كما استشار عليه الصلاة والسلام أصحابه فى الخروج فى غزوة بدر وفى المكان الذى ينزل فيه جيش المسلمين، وفى أمر الأسرى، إلى غير ذلك من الأمور مع أنه نبى معصوم ويوحى إليه من ربه وما ذلك إلا لأن فى الشورى تقوية للرأى، وتجميعا لقلوب من يستشيرهم معه، ودعوة لاجتهادهم فى الأمر وإخلاصهم له.

ولقد وعى الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم أهمية الشورى، فجعلها سيدنا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أول مبدأ له حين تولى الحكم، فقال ضمن ما قال : «إنى وليت عليكم.. ولست بخيركم فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فقومونى» .

ورأينا سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يتخلى عن الشورى طيلة حياته بل لم تفارقه حتى وهو فى النزاع الأخير.. لقد كان أول من قرر الشورى فى انتخاب الخليفة، فعندما سألوه وقالوا له : من توصى به؟ قال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتونى فى حفرتى فادع عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة، وأحضر عبدالله بن عمر ولا شئ له من الأمر ليكون منهم الخليفة قال شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله :

يا رافعا راية الشورى وحارسها جزاك ربك خيرا عن محبيها

(١) سورة الشورى ٣٨.

لم يلهك النزع عن تأييد دولتها وللمنية الأم تعانيتها  
وما استبد برأى فى حكومته إن الحكومة تغرى مستبديها  
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف، ورأى الفرد يشقيها

لقد عاش رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حياته كلها، لا يأخذ قرارا، ولا يبرم أمرا إلا بعد أن يستشير الكبار والصغار فيه، وكان يقول رضى الله عنه.

«أخوف ما أخافه عليكم إعجاب المرء برأيه» كما كان رضى الله عنه لا يكتفى بتطبيق مبدأ الشورى بنفسه بل كان يوصى به عماله ويوجههم إلى الأخذ بالشورى فى كل أمورهم.

### العدالة فى الحكم والإدارة هى أساس الأمان:

العدل أساس الملك، والعدل أساس الأمن والاستقرار، فحيث انتشرت العدالة ولم يكن هناك ظلم من كبير إلى صغير أو من مسئول أو ولى الأمر لابد أن يستقر العمل ولا بد أن تستقر الحياة أما فى جو الظلم، فلا يكون هناك أمن ولا استقرار فترى المظلوم متبرما من العمل ومن القائمين عليه، ولا ترى تعاونا بين العاملين الذين يشعرون بالظلم، فنهاية الظلم وخيمة، وعاقبته أليمة، وقد وضع الله تعالى أن الأمن والاستقرار للمؤمنين الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم، فقال جل شأنه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه العدالة على ناسه عندما طالبه أحد أحياء يهود بدين لم يأت مواعده بعد فاشتد وأحتد فى الطلب مما أثار حفيظة سيدنا عمر رضى الله عنه فقال له النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا ياعمر أنا وهو أولى منك بغير ذلك تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضى».

وفى ظل الحياة العادلة ترى الجميع أمنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولننظر إلى حياة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد طبق العدل فى أسمى معانيه، هاهو ذا يأتية رسول كسرى بالمدينة فلم يجد له قصرا ولا بيتا متميزا عن سائر الرعية ويراها نائما

(١) سورة الأنعام ٨٢.

أمام بيته فدهش وقال قولته المشهورة: حكمت فعدلت فأمنت فنمت ياعمر، وقال فى هذه الواقعة شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا      بين الرعية عطلا وهو راعيها  
وعهده بملوك الفرس أن لها      سورا من الجند والأحراس يحميها  
رأه مستلقيا فى نومه فرأى      فيه المهابة فى أسمى معانيها  
فقال قولة حق أصبحت مثلا      وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها  
أمنت لما أقت العدل ياعمر      فنمت نوم قير العين هانيها

إن الذين يعدلون فيما ولاهم الله تعالى هم الذين يجعلون من سلوكهم سببا لنشر الأمن والاستقرار فى الأرض. والعدل مطلوب فى العمل الإدارى كما هو مطلوب فى كل قول وفى كل عمل آخر، فهو مطلوب فى القول: «وإذا قلت فاعدلوا» وهو مطلوب فى الحكم: «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل».

وهو مطلوب فى الاختيار وملء الأماكن بالكفاءات حتى لا تعصف الأهواء البشرية والرغبات الخاصة بأهل الجدارة والاستحقاق فى الحديث «من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» إن العدالة فى الحكم والإدارة، من أهم الأسس التى ينجح بها العمل الإدارى، ويستتبع بها الأمن والطمأنينة والاستقرار.

### التحذير من استغلال الجاه والنفوذ:

إن العمل الإدارى الناجح، هو الذى يقوم المسئولون به دون أن يتميزوا على سائر الناس بل يكونون قدوة لغيرهم فى عدم التميز، وفى عدم استغلال الجاه أو النفوذ، ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة فى ذلك فمع أنه أشرف المرسلين وخير خلق الله إلا أنه كان لا يحب أن يميز نفسه على أحد من المسلمين وفى واقعة ذبح الشاة التى قال بعض أصحابه فيها أنا على ذبحها، وقال الآخر وأنا على سلخها وقال الثالث وأنا على طبخها قال عليه الصلاة والسلام: «وأنا على جمع الحطب» فلما قالوا له كلنا يكفيك هذا يارسول الله؟ قال: علمت ذلك، ولكنى أكره أن أتميز عليكم.

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحذر أهله وعشيرته من استغلال اسمه أو قرابتهم منه ، فيأمرهم أن يكونوا آخر من يشبع وأول من يجوع ، ويحذر ولاته من استغلال نفوذهم أو الحصول على أي سر شيء باسم الوظيفة لقد أهدى إليه أحد ولاته حلوى فلما سأل حاملها قائلاً «كل المسلمين يأكلون ذلك؟» أجاب حاملها بقوله : بل هي طعام الخاصة فرفض سيدنا عمر رضي الله عنه قبولها وأمر الرجل الذي حملها أن يعود بها إلى السوالى وأن يقول له : عمر يأمرك ألا تأكل من طعام حتى يشبع منه قبلك جميع المسلمين.

وعندما مر ببعض الفرق التي بدت عليها آثار النعمة والسمنة سأل عن الذي يملك هذه الجمال ، فأجابوا بقولهم انها لعبد الله بن عمر ، فإذا به يسوقها إلى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفي لها ، وأنه لولا جاهة بين الناس ما كان ليقدر على إطعامها.

وفى هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله :

وما وفى ابنك عبد الله أئِنَّهُ  
 لما اطلعت عليها فى مراعيها  
 رأينها فى حماه وهى سارحة  
 مثل القصور قد اهتزت أعاليها  
 فقلت ما كان عبد الله يشبعها  
 لو لم يكن ولدى أو كان ينميها  
 ردوا النياق لبيت المال إن له  
 حق الزيادة فيها قبل شاربها

وبمثل هذه الإدارة للمجتمع وللحياة ، وبعدم تمييز المسئول عن الناس ، وعدم استغلال الجاه والنفوذ ينجح العمل الإدارى ويكون المسئول فيه قدوة لمن معه ، وتشرق الحياة بالعمالين المخلصين الذين لا يستعلون على الناس.

### تفقد أحوال الرعية والوقوف على حاجاتهم:

ومن أسس الإدارة الناجحة : أن يتفقد المسئول سير العمل ، وأن يتعرف على مشاكل الذين معه ، ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه يسأل عن متأخر عن صلاة الجماعة ، فيعود المريض ، ويفرج كربة المكروب ويحمل مشاكل الناس.

وحل مشاكل الناس ، وتفقد أحوالهم ، لا يتفق مع بعض الأساليب التي لجأ إليها

البعض من التجسس والترصد لأسرار الناس ، أو اتباع عوارثهم ففي الحديث : «إنك إن اتبعت عورتهم أفسدتهم أو كدت تفسدهم». إن تفقد أحوال الناس لحل مشاكلهم يختلف عن التجسس واتباع العورات ومحاولة تصيد الأخطاء.. ولقد طبق الخلفاء الراشدون هذا المبدأ خير تطبيق فيها هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يتفقد أحوال الرعية ويتعسس ليلا فيعلم أن امرأة قد أوقدت النار توهم أطفالها الصغار أنها تقوم بطهى طعام لهم تريد أن تسكن من غضبهم وبكائهم بينما هى لا تقوم بطهى شىء، وإنما أوقدت النار على ماء وحصى تريد أن تلهى بذلك أطفالها الذين عضهم الجوع ليناموا، فحمل إليها من بيت المال الدقيق وما تحتاجه من طعام، بل وساعدها فى إشعال النار وأنضج لها الطعام، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال واطمأن عليهم واستراحوا، يصور هذا شاعر النيل حافظ إبراهيم فيقول :-

ومن رآه أمام القدر منبطحا	والنار تأخذ منه وهو يذكيها
وقد تخلل فى أثناء لحيته	منها الدخان وقوة غاب فى فيها
رأى هناك أمير المؤمنين على	حال تروع - لعمر الله - رائيتها
يستقبل النار خوف النار فى غده	والعين من خشية سالت مآقيها

وإذا كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمثالياته فى الحكم والادارة، جاء بما يصعب على البعض - اليوم - أن يأتى به ، ويعجز البعض الآن - عن الإتيان بمثله ، فإنه ليس بمستحيل أن يقترب المسئول من هذه النماذج العالية، وتلك المثاليات الراقية، فإن الذى قام بهذا النمط من السلوك ليس نبيا معصوما، وإنما هو من الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن نقتدى بهم حيث قال : «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى».. ما أسعد الإنسان القائم بحل مشاكل الناس إنه لسعيد فى دنياه براحة الضمير وتوفيق الله تعالى له ، وسعيد فى أخراه بما بشر به رسول الله صلواته على : «إن لله عبادا اختصهم الله بحوائج الناس إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة».

## الرجوع إلى الحق:

الرجوع إلى الحق، من أهم أسس العمل الإدارى الناجح، وهو خير من التماذى فى الباطل وخير من الاستمرار على الخطأ أو ما ليس بمفيد...

وكثير من المسئولين يتعرضون لكثير من المواقف التى يتخذون فيها قرارا، أو يصدرون فيها بعض التوجيهات للذين يعملون معهم، ثم يتبين للذين معهم أن الأفضل هو إلغاء القرار أو إيقاف تلك التوجيهات لمجافلتها للحق أو لبعدها عن الصواب، أو أن غيرها أفضل منها للعمل وللصالح العام... وكثير من الموفقين للحق من يدركون ذلك فيرجعون للحق ويرون أن الرجوع للحق خير من التماذى فى الباطل، فلا يرون حرجا أن يرجعوا عن قراراتهم أو توجيهاتهم، ولا يتبرمون من ذلك ما دامت المصلحة العامة تقضى ذلك، وكلنا بشر، وليس فينا أحد معصوم.. ولكن هنا فريق آخر يرى أن الرجوع إلى الحق وتغييره لقراره فيه نوع من الضعف أو ظهور له بمظهر المخطئ فى قراره الأول أو فى توجيهاته الأولى فيتماذى فى الباطل حتى يقهر على الرجوع عنه أو يوقع المصلحة العامة فى حرج أو طريق مسدود، وهذا من أفدح الأخطاء والخطايا التى يرتكبها مسئول فى مسيرته الإدارية وأولى له ثم أولى أن يرجع عن قراره إلى ما هو حق حتى لا يقع فى الخطأ ويوقع من معه فى حرج أو مأزق، وقد رجع رسول الله ﷺ وهو خير خلق الله عن موقفه يوم بدر ونزول الجيش إلى المكان الذى أشار به الحباب بن المنذر ورجع عن رأيه فى تأبير النخل وقال أنتم أعلم بشئون دنياكم، وهذا فيما لاوحى فيه، وليعلم المسلمين الرجوع إلى الحق وهما سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تسور الحائط على قوم يشربون الخمر ليأخذهم على غرة فأنكروا عليه أمورا ثلاثة وهى: دخوله عليهم من غير الباب وقد قال الله تعالى: ﴿وَأْتُوا بُيُوتَ مَنْ أَبْوَابِهَا﴾ [سورة البقرة: الآية: ١٨٩] وأخذوا عليه عدم الاستئذان وقد قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [سورة النور: الآية: ٢٧] والتجسس عليهم وقد نهى الله عن ذلك ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [سورة الحجرات: الآية: ١٢]

فانثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم، قال حافظ إبراهيم رحمه الله :

قالوا مكانك قد جننا بوحدة      وجتتنا بثلاث لا تبايها  
فأت البيوت من الأبواب يا عمر      فقد يذم من الحيطان أتيها  
واستأذن الناس أن تغشى بيوتهمو      ولا تسلم بدار أو تحييها  
ولا تجسس فهذه الآى قد نزلت      بالنهى عنه فلم تذكر نواهيها  
فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم      لما رأيت كتاب الله يملئها  
وما أنفت وإن كانوا على حرج      من أن يحجك بالآيات عاصيها

### ورع المسئول وحفاظه على المال العام:

ومن أسس الإدارة الناجحة: وجوب المحافظة على المال العام فليس هذا المال ملكا للحكومة كما يزعم البعض، فإن الحكومة شخصيات مؤقتة لهم أجل معينة وهم أمناء على المصالح العامة والأموال العامة ولا يملكون هذا المال بل هم أمناء عليه، أما ملكية المال العام فهى للدولة كلها ولكل فرد حق فيه فمن اعتدى عليه كان معتديا على حق الدولة كلها أفرادا وجماعات وكان المفرط فى إهداره أو ضياعه مرتكبا لأكبر الذنوب وكان رسول الله ﷺ يضرب أروع الأمثلة على ذلك فبأخذ الثمرة التى يجدها على الأرض فى بيته ساقطة ليأكلها ثم يعود فيلفظها ويقول: أخشى أن تكون من مال الصدقة.

وناهض عليه الصلاة والسلام بعض المحاولات لإهدار المال العام فى مهدها، عندما جمع ابن اللتبية مال الصدقة، وخص نفسه بما أهدى له وجاء يقول هذا لكم وهذا هدية أهديت لى، فقال رسول الله ﷺ: «هلا جلس فى بيت أبيه وأمه فيرى إن كان يهدى إليه أم لا؟» وها هو سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عندما أرادت زوجته أن تشتري الحلوى فأبى حتى يسد حاجة الجائعين المحتاجين إلى القوت الضرورى فلما ادخرت زوجته من مصروف بيتها ما تشتري به الحلوى وهو حلال أبى أن يتمتع أهل بيته بالشئ الكمالى وفى المسلمين بطون جائعة وأمر برد ثمن الحلوى إلى بيت مال المسلمين ليسد جوعة جائع منهم

يقول حافظ إبراهيم رحمه الله :

يوم اشتهدت زوجة الحلوى فقال لها      من أين لى ثمن الحلوى فأشربها  
فأقبلت بعد خمس وهى حاملة      دريهمات لتقضى من تشهيهها  
فقال نبهت منى غافلا فدعى      تلك الدراهم إذ لاحق لى فيها  
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به      أولى فقومى لبيت المال رديها

وهكذا كان ورع الخليفة فى أن يستمتع أهل بيته بشئ حلال وليس فى المال حينئذ  
بشبهة لأنه من مصروف البيت الخاص ولكنها النفوس الكبار التى ترفض التمتع بالطيبات  
فى وقت تحتاج فيه البطون الجائعة إلى العيش الضرورى.

### النقاء الإدارى وعدم الإصغاء للمتسلقين:

ومن أسس العمل الإدارى الناجح: النقاء الإدارى، وأعنى به أن يكون الرئيس والمرءوس  
فى العمل يعيشان فى جو نقى، صاف من الأكدار ومن القيل والقال، فلا يحاول المرءوس  
أن يتسلق عن طريق نقل الكلام وهدم الآخرين والتسلق على أنقاضهم ورميهم بالنقائض  
وكتابة التقارير المنظمة والشكاوى المتعسفة والظالمة.

ولا يحاول المسئول أن يفتح بابه لبطانة السوء التى لا يهمها إلا المصلحة الخاصة، ولا  
يكون رجلاً أذنا يسمع كل ما يقال، ويصدق كل ما يسمع وأن يعلم أن من نم «له نم عليه».  
وقد وجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى سد منافذ القيل والقال وحذر أن يبلغه  
أحد عن أحد شيئاً، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يبلغنى أحد عن أحد شيئاً فإنى أحب  
أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

فإذا كان هذا رسول الله ﷺ وهو النبى المعصوم الموحى إليه وخير خلق الله، لا يريد أن  
يسمع من أحد شيئاً على أحد حتى لا يتأثر بكلام الغير على الناس، فما بالنا بنا نحن  
البشر إنه لأولى بنا أن.. نحافظ على أنفسنا وعلى إخواننا من فتح منافذ القيل والقال،  
وإلا نستمتع إلى الذين يهدمون إخوانهم ليرتفعوا على أنقاضهم وعلى المسئولين الكبار أن

يقدرّوا هذا الخطر الذى يزلزل أركان العدالة، ويقوض حضارة الأمم ويجهض الحماس  
لدى المخلصين الذين لا ينالون حقوقهم بسبب عدوان القوالين والوسطاء وما يبتئونه من  
أقاويل الشر والسوء لإخوانهم فإن الله عليهم بما فى الصدور.

□□□

## حقوق الجيران في الإسلام

لقد أكد الإسلام حق الجوار، سواء كان جاراً قريباً أم جاراً أجنبياً أم كان جاراً مرافقاً فى السفر، أو زميلاً فى تعلم العلم، أو كان جالساً إلى جوارك فى مجلس، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذَى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣٦) (١).

ففرى أن الآية الكريمة وصت بالجار ذى القربى، وهو الجار القريب له حق الجوار وحق القرابة، كما وصت بالجار الجنب: وهو الجار الأجنبى الذى لا قرابة بينك وبينه، كما وصت الآية بالصاحب بالجنب، وهو كما قال ابن عباس رضى الله عنهما: «هو الرفيق فى السفر»، وقال الزمخشري: «هو الذى صحبتك إما رفيقاً فى سفر، أو جاراً ملاصقاً، أو شريكاً فى تعلم علم، أو قاعداً إلى جنبك فى مجلس أو غير ذلك...» وقيل: هو المرأة. وكانت الوصية بالجار مؤكدة لدرجة أن الذى نزل بها جبريل عليه السلام من قبل الحق تبارك وتعالى، ولم ينزل بها مرة ولا مرتين، بل نزل بها عدة مرات، ووصى بالجار كثيراً، حتى إن رسول الله ﷺ ظن أنه سيشارك الجار جاره فى الميراث كما يشارك القريب الوارث قريبه، فقد قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (٢).

وجعل الإسلام إكرام الجار لجاره دلالة على الإيمان بالله واليوم الآخر، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» (٣) كما جعل الإسلام من

(١) سورة النساء ٣٦.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

دلائل الإيمان وكماله أن يأمن الجار بوائق جاره أى غوائله وشروره، فقال صلوات الله وسلامه: «لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه»<sup>(١)</sup>.

وايذاء الجار، وعدم القيام بحقه يحبط عمل صاحبه، لان الإسلام دين عبادة ومعاملة، ولذلك لما قيل لرسول الله ﷺ: «إن فلانه تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال ﷺ: «هى فى النار»<sup>(٢)</sup>.

ومن حقوق الجوار احتمال أذى الجار، ولا يكفى منع الأذى عنه ولا يكفى احتمال الأذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف للجار.

ومن حقوق الجار: أن يبدأ المسلم جاره بالسلم، ولا يكثر من السؤال عن حاله والتتبع لأخباره، وعليه أن يعود جاره إذا مرض وأن يعزيه إذا كان مصابا، وبهنيه إذا فرح، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع إلى عوراته، ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتطلع إلى ما يحمله إلى داره، ويرشده إلى ما يجهله من أمور دينه ودنياه، وفى الحديث: أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعتته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه وان مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزبته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه وإذا أشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها، ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار ربح قدرك إلا أن تغرف له منها، ثم قال: أتدرون ما حق الجار؟ «والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله»<sup>(٣)</sup>.

وللجار حق وإن لم يكن مسلما، قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلما له يسلم شاة فقال: يا غلام إذا سلخت فابدا بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا، فقال له: كم تقول هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه.

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه أحمد والحاكم.

(٣) أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى وهو ضعيف ولكن العمل به فى فضائل الأعمال.

ويوصى الإسلام الجارات المسلمات بتواصل الود بينهن فيقول ﷺ: «يانساء المسلمات لا تحقرن جارة جارتها ولو فرسن شاة»<sup>(١)</sup>.

وعليه أن يطيع الله في جاره فقد روى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له: إن لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه.

وأما إذا زاد الجار في شره وايدأته لجاره ولم يُجد معه الصبر ولا الملاينة، فعليه بتحريك الرأي العام معه، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له النبي ﷺ: «اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة» اطرح متاعك في الطريق قال: فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك؟ فيقول: آذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله، فجاءه جاره فقال له: رد متاعك فوالله لا أعود<sup>(٢)</sup>.



---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه أبو داود والحاكم.

## الدعوة لاستمرار التبرع لاحتواء آثار الزلزال وغيره من الكوارث

لقد كان حادث الزلزال، وما ترتب عليه من الخوف والفرع، وفقدان البعض لماله أو أهله، اختبارا وتنبيها، وتمحيصا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾<sup>(١)</sup>.

والزلزال كغيره من الظواهر الكونية، يرسلها الله تعالى ليطلع عباده على قدرته القادرة القوية، ليؤمن الجاحدون، وليزداد المؤمنون ايمانا على ايمانهم، ويتبين الناس جميعا الحق، كما قال تعالى: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

ونحن مأمورون تجاه الظواهر الكونية أن نستقبلها بالإيمان والعبادة والدعاء، ففي ظواهر الكسوف والخسوف والجذب أمرنا بصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء، وعندما كسفت الشمس يوم موت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وقال البعض: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينفكسان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فصلوا وأدعوا الله».

وما كانت هذه الظواهر غضبا ولا سخطا من الله كما يزعم البعض حتى وإن كانت بسبب ما كسبت أيدي العباد - فإن مثلها مثل تأديب الاب لابنه إنه ليس سخطا وغضبا أو كرها في الولد وإنما للتعليم والتوجيه والتأديب والتنبيه، وزيادة الحب فيه.

ولا يمكن أن تفسر هذه الظواهر بأنها غضب أو سخط أو كراهية فقد كان يحدث مثلها في أشرف القرون وأطهر العهود وفي عهد النبوة وعهد الصحابة والتابعين وحين اهتز جبل

(١) سورة البقرة ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) سورة فصلت ٥٣.

أحد بالمدينة حيث وقف عليه رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان قال له الرسول ﷺ: «اثبت أحد فإن عليك نبيا وصديقا وشهيدين».

فهذه الظواهر الكونية التي تحدث ليست سخطا ولا كراهية من الله تعالى بل هي : إظهار لقدرة الله ليؤمن الجاحدون، ويزداد، الذين آمنوا إيمانا، وهي ابتلاء واختبار للمؤمنين، وهي تنبيه وتوجيه والإسلام كما أمرنا باستقبال الظواهر الكونية بالإيمان والعبادة والدعاء أمرنا أيضا أن نأخذ في الأسباب، قال الله تعالى: ﴿وَحَدُّوا حُدُوكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٢)</sup> وكان رسول الله ﷺ يأخذ بالأسباب، بعد التوكل على الله تعالى والاستعانة به وذلك في كل أفعاله وأحواله، فإذا طالبنا بدعم البحوث العلمية التي تقدم للوقوف على ما ينبغي اتخاذه من إجراءات والقيام برصد الظواهر وتوجيه الناس ليتصرفوا التصرف الحسن والسليم لا يكون هذا مخالفا للإيمان بالله بل هو من صميم الإيمان.

هذا وإن الوقوف بجانب منكوبي الزلزال والتبرع لهم وإنشاء المساكن والمدارس أمر واجب، ومما يثلج الصدر ما قدمه كثير من أهل الخير من تبرعات، حتى بلغ ما تبرع به بعض المحسنين نصف ما يدخر والبعض قدم أكثر من ذلك، وأحب هنا أن أشير إلى أن الإنفاق في وقت الضرورة وفي هذه الكوارث الحرجة يصح أن يكون من الزكاة لأنه يدخل في مصرف الزكاة المنصوص عليه في القرآن الكريم: «وفي سبيل الله».

ومن ناحية أخرى فهو يدخل في مجال الصدقة الجارية التي يستمر ثوابها بعد الانتقال إلى الحياة الآخرة ففي الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع أو ولد صالح يدعو له» والتبرع لبناء مساكن الإيواء والمدارس صدقة جارية. بل إنه واجب - في أوقات الكوارث والضرورة - لأن في المال حقا سوى الزكاة، فقد

قال ﷺ: «ان في المال حقا سوى الزكاة»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النساء ١٠٢.

(٢) سورة البقرة ١٩٥.

(٣) رواه الدارقطني.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم» فإن الله تعالى جعل كفاية الأمة في الأحوال التي بأيديهم جميعا فما نقص عند المحتاجين يكمل مما عند الأغنياء فعن على كرم الله وجهه ان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذى يسع فقرائهم ولن يجهد الفقراء، إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنيائهم ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما». رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له». وقد اتفق العلماء على أنه إذا نزلت حاجة أو نازلة بالمسلمين وكانوا قد أدوا زكاة أموالهم فإنه يجب صرف المال إليها.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين. وإعلان التبرعات لا ينقض ثوابها ما دامت صادقة ولم يكن لدى صاحبها مراعاة للناس، فالأفضل للصدقة المقطوع بها أن تكون سرية ذلك أفضل وإن أظهر غير مرء بها فلا بأس بل إن إظهار الصدقة الواجبة كالزكاة فيه إظهار للشعيرة وقدوة للغير قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (١).

ففى إظهارها خاصة الواجبة والتي يمكن أن تدخل فى نطاق الزكاة كالتبرع ببناء المدارس التي أصيبت من حادث الزلزال وكغير ذلك من الضرورات والكوارث إظهار الإنفاق فى هذا وإعلانه فيه قدوة للغير وإظهار لشعائر الدين وتقوية للروح المعنوية، ولا يحقرن أحد شيئا يتبرع به مهما كان قليلا فإن القليل مع القليل يصبح كثيرا وفى الحديث: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه» وهو الشئ اليسير وإن دوام الإنفاق واستمرار التبرع خيرا وإذا تبرع الفقير مما عنده وكان عنده مثلا مائة فيتبرع بعشرة يكون

(١) سورة البقرة ٢٧١.

هذا أفضل ممن يتبرع وعنده بمائة وعنده الآلاف أو الملايين فخيركم من جاء بما عنده. وإنى أقترح استمرار حملة التبرعات وأن ينشأ صندوق خاص بها وليكن ذلك فى صورة بنك بمثابة بيت المال أو صندوق الزكاة، حتى بعد أن تعالج آثار الزلزال علينا أن نتابع التبرعات وأن تستمر حملة التبرعات..

لقد ترددت اشاعات بعضها مغرض، وبعضها يتهمكم، وبعضها ظن السوء بأن حجم التبرعات قد زاد وبدأ الهمس وأين ذهب وكيف يصرف..

وإنى إزاء هذا لأقترح استمرار حملة التبرعات وإنشاء بنك أو صندوق ثابت لتلقى التبرعات وأموال الزكاة ليصرف فيه على مثل هذه الكوارث، وعلى الذين لا يجدون ما ينفقون ليكون بمثابة بيت المال أو صندوق الزكاة حتى لا ننتظر جمع التبرعات إذا حدثت كوارث - لا قدر الله - بل ننفذ المحتاج بما يكون فائضا من مال وبما هو موجود فى هذا البنك الخاص بالكوارث.

وإنى لعلى يقين أن هذا الاقتراح لو نفذ ووجهت إليه أموال الزكاة فإن الناس سيسابقون للتبرع إليه خاصة حين يوقفون أنه يصرف فى مصاريف الزكاة على المحتاجين وعند الكوارث، لأن للوازع الدينى أثره على النفوس أكثر وأشد من أثر القانون الذى يستند إلى عقوبة الدنيا أو جزاء الدنيا والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.



## الإسلام والإدارة بين التغيير والتنظيم والتطوير

الإسلام دين العمل والإنتاج يدعو أتباعه إلى إحسان العمل، ويحث على ممارسة جميع أنواع العمل، إداريا كان أو صناعيا أو ثقافيا أو تجاريا أو زراعيا... وما إلى ذلك من أنواع الأعمال.

وواضح أن العمل الإداري يعتبر الموجه والقائد لتنظيم وتطوير منظمات العمل ومؤسساته. وللإسلام دعوته في النهوض بالعمل الإداري قدما للإمام.. فحيث احتاج العمل إلى التغيير أو التنظيم أو التطوير، كان لابد على القائمين عليه أن يهبوا لتلبية حاجة العمل سيرا نحو النجاح والصالح العام.

ونجاح كل عمل مرهون بنجاح القيادة القائمة عليه، فحيث كان قائد العمل متسما بسمات القيادة الناجحة استطاع أن ينهض بالعمل وبمن معه من العاملين.

### سمات القيادة الإدارية الناجحة:

من أهم سمات القيادة الإدارية الناجحة «الإخلاص في العمل» وفي دائرة الإخلاص يؤدي المسئول عمله على أكمل وجه وينظر إلى جميع الذين يعملون معه على أنهم سواء، لا فرق بين واحد وآخر، ولا تفضيل لأحدهم على الآخر إلا بما يقدمه من عمل متقن، ولا يحابي أحدا، ولا يؤثر بعضهم على الآخر ولا يولي أحدا محاباة له، لقرابة أو صداقة، أو سبب ما من الأسباب.

وعليه أن يختار «القيادات» الجديرة بالمنصب، فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» رواه الحاكم.

فرئيس العمل الذي يحابي أحدا على أحد، ويقدمه على غيره، ويؤخر الرجل الكفاء، جزاؤه أليم، وعقابه شديد، فقد قال رسول الله ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ويدخله جهنم» رواه الحاكم.

ومن أسباب الفساد الإدارى أن يوسد الأمر إلى غير أهله ، وأن يسند العمل أو المنصب إلى غير الجدير به حتى عد الرسول ﷺ ذلك من علامات الساعة ، فقد جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ قائلاً: متى تقوم الساعة؟

فقال له الرسول ﷺ: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. فقال: وكيف إضاعته؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» رواه البخارى.  
وهنا نقول: لا بد من «التغيير» فهو الحل الحتمى للإصلاح الإدارى للعمل حتى لا يسند عمل إلى غير أهله ، وحتى لا يظلم المستحق فيؤخذ عن المكان الذى رشحته له كفاءته وجدارته...

وهناك من يبرر لنفسه إسناد المنصب أو الموقع المعين للإنسان المعين الذى تربطه به رابطة القرابة أو الصداقة أو غير ذلك يبرر لنفسه ذلك بحجة أنه موطن ثقته ، وأنه الحفيظ على أسرارهِ إلى غير ذلك من الأسباب التى ينتحلها بعض الناس تبريراً للمحاباة والتحيز ، وليس ذلك بصحيح... وعلى القائم على الأمر أن يُعيد الحق إلى صاحبه وأن يغير الوضع الراهن إلى مافيه المصلحة العامة لا المصلحة الفردية.

ومن أهم السمات الإدارية: «الأمانة» فى استعمال المال العام والبعد عن استغلال النفوذ ، وعن أخذ شىء من المال العام بغير وجه حق ، فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» رواه أبو داود.

وأن ينأى بنفسه عن التلوث «بالرشوة» خاصة التى تأتى فى صورة هدايا مقنعة ، فقد قاومها الرسول صلوات الله وسلامه فى مهدها ، فقد استعمل النبي ﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال: هذا لكم ، هذا أهدى إلى ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد.. فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت لى ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتية هديته إن كان صادقا؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خورا أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى روى بياض إبطية: اللهم هل بلغت رواه مسلم.

وإذا كان القائم على العمل غير أمن على المال العام، وغير حفيظ عليه فلا حل في هذه الحالة إلا «التغيير» وليقم بهذا العمل من يصون حرمة المال العام فلا يخون ولا يفرط، ولا يقوم بالصرف منه على المظاهر التي لا تعود بالمنفعة العامة.

ومن أهم سمات العمل الإداري والقائد الإداري للعمل أن يكون مستوعبا لروح العمل ومجالاته ولا يستبد به «الروتين» أو «البيروقراطية» بل عليه أن يتسم بال مرونة في العمل، وبالرفق مع العاملين، وليس معنى الرفق أن يتهاون مع المقصرين، بل أن يكون سمح المعاملة رقيقا بمن معه لا يشق عليهم ولا يتساهل معهم ولقد دعا رسول الله ﷺ لمن رفق بالعاملين المؤمنين حيث قال ﷺ: « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فأرفق به ومن ولي من أمر أمتي فشق عليهم فأشق عليه».

فإذا استبد الروتين والبيروقراطية بالعمل دمرت أسس النجاح فيه، والحل هو «تغيير» أسلوب العمل، وتغيير المتعاملين بالتعقيد للنهوض بالعمل وبإصلاح الإدارة القائمة حتى لا يتفشى الروتين، وتنخر البيروقراطية في قطاعاته وأروقته.

ومن أهم سمات القيادة الإدارية الناجحة: الأخذ بمبدأ الشورى وعدم تركيز سلطة اتخاذ القرار في يد المسئول الكبير لأنه يترتب على ذلك تأخير العمل، وفقدان القيادات التي تحمل للثقة في أنفسهم فقائد العمل الإداري الذي لا يركز السلطة كلها في يده بل يشرك غيره في العمل ويفوض المسئولين معه في بعض الأعمال حتى يتاح له وقت أكبر في التفكير وفي التنظيم والتطوير، وحتى لا يضيع وقت المسئول الإداري في توزيع كل فكرة في كل شيء، «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه».

فما يسمى بلغة الإدارة: «مركزية الإدارة» فيه تقييد، وتأخير للإنتاج والإصلاح، والمصلحة العامة.

ولا يستطيع فرد واحد أن يواجه تحديات العمل الإداري، بل عليه أن يعطي الفرصة لمن معه وأن يتيح لهم إبداء آرائهم وإسهامهم في نجاح العمل.

فإذا كانت مركزية الإدارة وتركيز السلطة في يد الفرد خطي على المصلحة العامة، فإن الحل هو تغيير هذا الأسلوب وذلك بإعطاء الفرصة للمشاركين أن يمارسوا حقهم في إدارة المنظمة أو المؤسسة ضمانا للصالح العام.

وكما يحتاج نجاح العمل تحقيق المصلحة العامة إلى تغيير بعض القائمين تأكيد الأهمية المسار الإدارى، وتنفيذا للإصلاح...

فإن هناك بعض القائمين بالعمل قد لا يحتاج الإصلاح إلى تغييرهم ولكنه يحتاج إلى مدهم بالمعلومات وتنظيم وتعديل بعض مواقعهم أو تطوير أدائهم عن طريق الدورات التدريبية. وفى هذا الجانب، تجدر الإشارة إلى التركيز على زيادة العلم، والمعرفة والخبرة، فكل رئيس فى عمله وكل مرءوس أو عامل فى حاجة إلى مزيد من العلم والمعرفة والخبرة.

ولذلك نجد القرآن الكريم يطلب من رسول الله ﷺ أن يسأل ربه سبحانه وتعالى أن يزيد علمه على علمه، مع أنه يوحى إليه من ربه، فيقول رب العزة سبحانه وتعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

فى مجال الأعمال وأساليبها ومناهجها: وكما يكون النهوض بالعمل عن طريق التغيير أو التنظيم أو التطوير للأشخاص، فإنه أيضا يكون فى مجال الأعمال نفسها وأساليبها ومناهجها...

بمعنى أن ضرورة التسامى والنهوض بمجال الأعمال ملحة وواجبة حتى تتواكب أعمالنا ومنظماتها ومؤسساتها مع التقدم الحضارى الذى تشهده الأجيال والدول الحديثة، وحتى تسائر الثورة التكنولوجية والعلمية التى تموج بها دول العالم اليوم، ولو نظرنا إلى الإسلام، لوجدنا أن القرآن الكريم قد دعا إلى العلم والمعرفة والثقافة والقراءة فى أول آية من الوحي الإلهي نزلت على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث قال جل شأنه لرسوله عليه الصلاة والسلام:

﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأمر الله تعالى أن تأخذ بأسباب القوة والتقدم وأن نبذل فى سبيل ذلك أقصى ما فى

(١) سورة طه ١١٤.

(٢) سورة العلق ١ - ٥.

الوسع الإنساني، فقال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ  
وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ  
لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وأن يكون «التغيير» في هذا المجال من حسن إلى أحسن ومن هام إلى أهم، فمن التوجيه  
النبوي: «حاربهم بما يحاربونك به» وهذا يقتضى التنظيم والتغيير والتطوير في أساليب  
الأعمال وفي مناهجها.



---

(١) سورة الانفال ٦٠.

## التقوى:

### سماتها وثمراتها

إن التقوى: هي أن يبتعد العبد عما يغضب الله، ويفعل ما أمر الله به، فيجعل بينه وبين ما يخافه من رب العزة سبحانه وتعالى وقاية تقية من غضب الله وعذابه، فيلتزم فعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه. وقد تضاف التقوى إلى اسم الله كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) (١)، وقد تضاف إلى العقاب مثل: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣) (٢). وقد تضاف إلى الزمان كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (٣).

وأحيانا يغلب استعمال التقوى على اجتناب ما حرم الله والبعد عما يغضبه من المعاصي، فقد سئل أبو هريرة رضى الله عنه عن التقوى فقال: أخذت طريقا ذا شوكة؟ قال: فكيف صنعت قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال: ذاك التقوى.

وكتب ابن السماك الواعظ إلى أخ له: أما بعد، أوصيك بتقوى الله الذى هو نجيك فى سيرتك، ورفيقك فى علانيتك، فاجعل الله من بالك على كل حال فى ليالك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرک وليكثر منه وجلک والسلام «وقال أبو الجلد: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء قل لقومك ما بالكم تسدون الذنوب من خلقى وتظهرونها لى إن كنتم ترون أنى لا أراكم فأنتم مشركون بى، وإن كنتم ترون أنى أراكم فلم تجعلونى أهون الناظرين إليكم» (٤).

والتقوى: هي وصية الله للأولين والآخرين، وللسابقين واللاحقين قال الله تعالى:

(١) سورة الحشر ١٨.

(٢) سورة آل عمران ١٣١.

(٣) سورة البقرة ٢٨١.

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup>.

والتقوى: هي علامة على الإيمان، وسمه من أهم سماته قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنُفُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال جل شأنه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد وضع رب العزة سبحانه وتعالى صفات المتقين في مواطن عديدة من القرآن الكريم، ففي أول سورة البقرة قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ<sup>(٥)</sup> وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ<sup>(٦)</sup> [سورة البقرة: الآيات: ٢-٤].

فذكر الله سبحانه وتعالى في صدر سورة البقرة من أوصاف المتقين: الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق والإيمان بما أنزل إلى رسول الله ﷺ وما أنزل من قبله، واليقين بالآخرة، والإيمان بما فيها من بعث ونشور، وجزاء وحساب، وجنة ونار.

فلاحظ أن القرآن وصف المتقين بصفات تجمع بين الإيمان والعمل وبين العبادة البدنية كالصلاة وبين العبادة المالية كالإنفاق، وبين الإيمان بما أنزل إلى الرسول ﷺ والإيمان بما أنزل من قبله على الرسل السابقين والإيمان بالآخرة وما فيها... فأشار إلى أهم أنواع الإيمان وأهم أنواع العبادات... وكان التركيز على الجانب الإيماني لأنه لا تقوى بدون الإيمان. قال عطاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقيت الوليد بن عباد بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسألته: ما كان وصية أبيك عند الموت؟ قال: دعاني أبي فقال لي: يا بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره فإن مت على غير هذا دخلت النار إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر: ما كان وما هو كائن إلى الأبد»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء ١٣١.

(٢) سورة المائدة ٥٧.

(٣) سورة المائدة ٨٨.

(٤) رواه الترمذى - القدر.

ومن صفات المتقين فى القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى أَمْالًا عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَآلِ التَّمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقَ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وفى سورة آل عمران، وصف الله تعالى المتقين بصفات تجمع بين التكافل الاجتماعى بالإنفاق فى السراء والضراء، وبين مراعاة الجانب النفسى والمعنوى بكظم الغيظ، والعفو عن الناس والإحسان إليهم والتوبة الصادقة فقال جل شأنه:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَعْفَرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَعِمْ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

أما عن ثمرات التقوى: فبالتقوى يأمن الخائف ويفرح المحزون، فلا خوف على المتقين فى الدنيا ولا خوف عليهم فى الآخرة، ولا هم يحزنون فى الدنيا ولا هم يحزنون فى الآخرة. قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن ثمرات التقوى: تسيير الله للتقى أموره للقيام بعمل الخير والطاعة وفعل الطاعات والبعد عن المحرمات، فيهىء الله من اتقى إلى العمل الخير والاستمرار فى الطاعة، ويسهل الله عليه الخصلة التى تؤدى إلى اليسر، قال الله تعالى:

«فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى» (أى من أعطى ماله منفقا له

(١) سورة البقرة ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران ١٣٣ - ١٣٦.

(٣) سورة الأعراف ٣٥.

فى سبيل الله وابتغاء مرضاة الله واتقى الله وصدق بالحسنى فسيهيئه الله لليسر فى كل أموره، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١).

ومن ثمرات التقوى: سعة الرزق، والبر كنز فيه، بحيث يرزق الله المتقين رزقا واسعا، ويفتح عليهم بركات من السماء والأرض، وينزل عليهم المطر، وينبت لهم الثمار، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢) إن الله سبحانه وتعالى مع المتقين ومن كان فى معية الله فلا خوف عليه، فهو فى الرعاية الربانية، والعناية الإلهية، يعينه وينصره، ويمده بالعون.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (٣).

ومن ثمرات التقوى حفظ الله للمتقين من كيد أعدائهم: فإذا اتقى الانسان ربه سبحانه وتعالى، وصبر على الأذى الذى يلحقه، فإن الله تعالى يكون معه بالعون والتأييد، يرد عنه كيد عدوه، فلا يضره فشرط نفى الضرر أن يكون صابرا وأن يتقى الله فى قوله وفعله وفى كل سلوكه، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَابِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة آل عمران: الآية: ١٢٠].

ومن ثمرات التقوى: تنوير القلوب وغفران الذنوب ومضاعفة الرحمة فمن أتقى الله أضاء الله قلبه بنور العلم والمعرفة والهداية فيكون لديه فرقان يفرق به بين الحق والباطل، ويمحو الله عنه ما سلف من الذنوب والآثام ويغفرها له ويسترها عليه ولا يؤاخذ به، لأن التقوى تجب ما قبلها فهى توبة ورجوع إلى الله وعمل للصالحات قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤) وبين سبحانه أن الله يضاعف للمتقين رحمته ويجعل لهم نورا يمشون

(١) سورة الطلاق ٤.

(٢) سورة الأعراف ٩٦.

(٣) سورة النحل ١٢٨.

(٤) سورة الأنفال ٢٩.



عوف بن مالك الأ شجعي أسر المشركون ابنه فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقه وقال إن العدو أسر ابني وجزعت أمه فمات أمرني؟ فقال ﷺ له : « اتق الله واصبر وأمرك وآياها أن تستكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل هو وأمراته فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائه من الإبل غفل العدو فاستاقها فنزلت «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نرى أن للتقوى ثمرات في الدنيا وثمرات في الآخرة، فمن ثمرات التقوى في دنيا الإنسان أن فيها الأمان والفرح وتيسير الأمور وسعة الرزق وحفظ الله المتقين من كيد أعدائهم وتنوير قلوبهم وتفريج الكرب والرزق من حيث لا يحتسب الإنسان. ومن ثمراتها في الآخرة: الفلاح ورحمة الله والفوز برضوان الله ودخول الجنة التي وعد الله بها المتقين قال تعالى: -

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾<sup>(٤)</sup> فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ ﴿يَتَأْوَلِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٥)</sup>.

والتقوى هي خير زاد للأخر، قال تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ﴾

ولأهمية التقوى كان التوجيه النبوي يأمر بها في كل وقت وحين وفي كل وزمان ومكان وحيثما كان الإنسان فقال صلوات الله وسلامه عليه: « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه الطبري.

(٢) سورة آل عمران ١٥.

(٣) سورة الذاريات ١٥.

(٤) سورة القمر ٥٤، ٥٥.

(٥) سورة البقرة ١٩٧.

(٦) رواه الترمذي.

## سماحة الإسلام

### بين أهل الأديان

إن سر انتشار الإسلام، واعتناق الناس له، ودخولهم في دين الله أفواجا، هو منهاجه الرباني، الذي أنزله رب العزة سبحانه وتعالى على رسوله صلوات الله وسلامه عليه، هذا المنهاج الذي أمر الله تعالى فيه بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. إنه منهج دعوة، وليس إكراها ولا تشددا ولا عنفا قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.

وما أقر الإسلام العنف ولا التشدد ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال سبحانه لموسى وهارون - حين بعثهما إلى فرعون الذي ادعى الألوهية -: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(٣)</sup> وعندما خافا أن يبطش بهما، بين الله تعالى أنه معهما يسمع ويرى ويؤيدهما في دعوتهما، فالله سبحانه يؤيد كل داع يستجيب لمنهاجه، ويدعو بالقول اللين الذي لا ينفجر، فقال تعالى - ردا عليهما - ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد ضرب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثلة في التسامح، فكان لين الجانب، طيب المعاملة سمحا في الأمور حتى مع أعدائه الذين حاربوه من قبل، كما حدث مع ثمامة بن أثال الذي عرض عليه الإسلام ثلاث مرات وكان لا يقبل في كل مرة حتى أمر النبي ﷺ بإطلاق سراحه، فكان هذا العفو والتسامح سببا في دخول الرجل في الإسلام، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله... وأقر الرجل بما كان

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة البقرة ٢٥٦.

(٣) سورة طه ٤٤.

(٤) سورة طه ٤٦.

عليه قبل هذه المعاملة السمحة من قبل ، من عداوة وكراهية للإسلام فقال إنه ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك وقد أصبح أحب البلاد إلى وما كان من وجه أبغض إلى من وجهك وقد أصبح أحب الوجوه إلى وما كان من دين أبغض إلى من دينك وقد أصبح أحب الأديان إلى ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، ودخل الإسلام بفضل سماحه النبي عليه الصلاة والسلام.

من أجل هذا قاوم الإسلام العصبية ، ودعا إلى التسامح ففي الحديث : « ليس منا من دعا إلى عصبية ».

ولم يقتصر تسامح الإسلام مع أهل الكتاب فحسب ، بل إنه شمل حتى المشركين فدعا الإسلام إلى منحهم الجوار والأمان حين يطلبه أحد المشركين ، فقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ (١).

بل إن الإسلام يعتبر ضرب الإنسان الفاجر أو المعاهد دون ذنب أو سبب جريمة يتبرأ الرسول ﷺ من صاحبها فيقول : « ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لعهد ذى عهدا فلست منه وليس مني » (٢) وذلك حتى لا يأخذ الناس بعضهم بعضا بالظن وحتى لا تكون الحياة فوضى فالإسلام لا يقر الظلم ولا العدوان حتى على الفاجر أو من كان معاهدا ، فالفاجر فجوره على نفسه وحسابه على الله ولسنا مطالبين حياله إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبمراتب مقاومة المنكر التي أخبر بها الرسول ﷺ حين قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » (٣).

وليس لأحد كائنا من كان أن يعطى نفسه الشرعية والحق في ضرب الناس أو إكراههم باسم الإسلام ، فإنه بهذا التصرف يسيئ إلى الإسلام وإلى سماحته.

وقد عنى الإسلام برعاية أهل الكتاب ، فقرر سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لهم كفالة

(١) سورة التوبة ٦.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

فى ببيت مال المسلمين؁ فقد روى أنه مر بباب جماعة؁ فوجد سائلا يسأل - وهو شيخ كبير  
ضريبر - فسأله قائلا: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودى: فسأله ما الجأك إلى ما أرى؟  
قال: أسأل الجزية والحالة والسن فأخذ عمر بيده إلى منزله؁ وأعطاه ثم أرسل إلى خازن بيت  
المال فقال له: انظر هذا وضرباه؁ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.  
وما حدث فى تاريخ سلفنا إهانة أحد من أهل الذمة؁ بل إن حدث أى تجاوز كان يعالجه  
الإسلام فى الحال؁ فعندما شكا إلى عمر أحد الأقباط ابن والى مصر عمرو بن العاص الذى لطم  
أبنة عندما غلبه ابن القبطى فى السباق؁ وقال: أنا ابن الأكرمين؁ أسرع عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بإحضار  
والى مصر وابنه إلى مكة فى موسم الحج وأعطى عمر الدرّة لابن القبطى وأمره أن يقتص من  
ابن الأكرمين؁ ثم قال لعمرو كلمته المأثورة «متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا».  
وقد أقام الإسلام العدل بين عنصري الأمة المسلمين وغير المسلمين ومن رسالة سيدنا  
عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى قاضى القضاة أبى موسى الأشعري قال له: «آس بين  
الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف  
من عدلك» فلا يصح التفرقة بين المتخاصمين حتى ولو كان أحدهما غير مسلم؁ وقد روى  
أن يهوديا خاصم سيدنا عليا بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؁  
فنادى أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه بقوله: «قف ياأبا الحسن فبدا الغضب على على  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؁ فقال له عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أكرهت أن نسوى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء؟  
فقال على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا؁ ولكنى كرهت منك أن عظمتنى فى الخطاب فناديتنى بكنتى ولم  
تصنع مع خصمى اليهودى ما صنعت معى وهكذا نرى كيف عامل سلفنا أهل الكتاب؁  
وكيف أظهروا سماحة هذا الدين الذى لا يقر العصبية ولا يرضى الظلم حتى لغير المسلمين  
بل يدعو إلى التسامح والعدل معهم... وهذا النهج المتسامح للإسلام مع أهل الأديان الأخرى  
هو سر ذبوعه وانتشاره فى ربوع المعمورة...



## الدعوة إلى توفير الرعاية الاجتماعية للمحتاجين مع بعض الظواهر الاجتماعية... ورعاية أصحابها

### (١) العاهات البدنية «الإعاقة» رعاية المعاقين

إن الإنسان الذى خلق بعاهة فى جسده، أو طرءت عليه العاهة بعد ذلك يجب على الأسرة والمجتمع أن يبذلوا له من الرعاية الاجتماعية ما يجعله عضوا صالحا فى المجتمع، نافعا لنفسه ولغيره.

كما يجب رعايته نفسيا، والدعوة إلى عدم إيذائه بالقول أو بالفعل أو السخرية أو اللمز أو التنايز بالألقاب، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ ۗ يَسْسُ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾<sup>(١)</sup>. وإن رعاية المعوقين نفسيا واجبة، حتى لاتولد المعاملة السيئة «العقد النفسية»، وحتى لاتؤثر السخرية أو الهمز أو اللمز بهم وحتى لاتولد روح الحقد الاجتماعى بالنسبة للمجتمع وحتى لا يتولد فيهم التشاؤم بل على الأسرة والمجتمع رعاية حقوقهم ومعاملتهم بالمحبة والتراحم، ونصيحة من معهم ومن يحيطون بهم وأن يعاملوهم بالمودة الحسنى. وعليهم أن يحذروا الشماته، لقوله ﷺ: «لا تظهر الشماته لأخيك، فيرحمه الله وبيبتليك»<sup>(٢)</sup>.

ولقد حذر النبي ﷺ من ذكر العيوب الجسدية أشد التحذير فقد روى أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت للنبي ﷺ: حسبك من صفة كذا وكذا - «تشير إلى أنها قصيرة» - فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الحجرات ١١.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه أبو داود والترمذى.

ولقد قال ﷺ - عندما ضحك البعض لنحافة ساق عبدالله ابن مسعود - «إنها لأثقل في الميزان من جبل أحد».

## (٢) رعاية الأيتام

لقد أوجب الإسلام على الأوصياء، وعلى المجتمع بصفة عامة رعاية الأيتام لأنهم فقدوا - منذ الصغر - أباهم، الذي يرببهم ويرعاهم، وحرمو من العطف الذي ينعم به سواهم، فوجب على الأوصياء عليهم أن يعوضوهم ما فقدوه، وأن يبذلوا لهم ما يحتاجون إليه من رعاية وتربية ومحبة وحنان، حتى يصبحوا أعضاء نافعين في الأسرة الإنسانية، وحتى لا يتحول البعض منهم إلى الضياع.

فمن توجيهات الإسلام، في رعاية الأيتام، الدعوة إلى إصلاحهم، لأن في إصلاحهم خيرا كثيرا، فقال تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهُمُ فَإِخْوَانُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وأمر سبحانه بالإحسان إليهم فقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾<sup>(٢)</sup> وذكر الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه كان يتيما يستثير فيه وفي الأمة عاطفة المودة والحنان، وحتى لا يشعر الأيتام بنقص أو هوان، ونهى من قهر اليتيم واتجه النهى إلى أشرف الأنبياء والمرسلين وفي هذا نهى لغيره من باب أولى عن قهر اليتيم فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَخَافَ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۗ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۗ﴾<sup>(٣)</sup>. وجعل القرآن دفع اليتيم بعنف وعدم الرقة والحنان معه من علامات التكذيب بيوم الدين فقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۗ﴾<sup>(٤)</sup>. ونهى الإسلام عن

(١) سورة البقرة ٢٢٠.

(٢) سورة النساء ٣٦.

(٣) سورة الضحى ٦، ٩.

(٤) سورة الماعون ١، ٢.

الاقتراب من مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ سن الرشد فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾<sup>(١)</sup>. وفى النهى عن قرب المال تأكيد ومبالغة فى التحذير والنهى عن أكله من باب أولى، إلا بالتى هى أحسن باستثمار المال حتى لا ينقص، قال ابن عباس رضى الله عنهما: هو أن يعمل له عملا مصلحا فيأكل منه بالمعروف. وأمر القرآن الكريم بإعطاء اليتامى أموالهم إذا بلغوا، وألا يستبدلوا الحرام من أموال اليتامى بالحلال وهو ما لهم وألا يخلطوا الأموال ببعضها ليأكلوها جميعا فهذا ذنب عظيم، فقال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَسْفَىٰ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ونهى الله تعالى من إعطاء المسرفين والمبذرين من اليتامى أموالهم حتى لا يضيع، وأمر سبحانه باختبارهم حتى إذا بلغوا سن النكاح، ورأوا فيهم أنهم يصلحون فى تصرفها فليعطوهم أموالهم وألا ينفق الأوصياء منها على أنفسهم مسرفين قبل أن يكبر اليتامى فيأخذوها منهم، وعلى الوصى الغنى أن يعف وعلى الفقير أن يأخذ بقدر حاجته، وبقدر أجرته، وإذا سلم الأوصياء الأموال إلى اليتامى عند سن الرشد فعليهم أن يشهدوا على ذلك لئلا يجحد أحدهم ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَوَتَّأُوا السَّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٣)</sup>، وَأَبْلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وذكر الله تعالى الأوصياء على اليتامى بموقفهم عندما يفارقون الحياة ويتركون ذرية ضعاف ويخافون عليهم، فعليهم أن يراقبوا الله فيمن فى أيديهم من اليتامى وعليهم أن يعاملوهم بما يحبون أن يعاملو به أبناؤهم من بعدهم فقال جل شأنه: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ

(١) سورة الأنعام ١٥٢.

(٢) سورة النساء ٢.

(٣) سورة النساء ٥، ٦.

لَوْ تَرَكَوْا مِنْ حَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَسْتَقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾<sup>(١)</sup>.  
ثم وضحت الآيات الكريمة خطورة أكل مال اليتيم ونهاية من يظلم اليتيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿١٠﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَوْمٌ مِنْ قَبْرِهِمْ تَأْجِحُ أَفْوَاهُهُمْ نَارًا»، فَقِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا» أَلَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ الْأَوْصِيَاءَ عَلَى الْيَتَامَى وَالَّذِينَ يَقُومُونَ عَلَى شَيْئُونَ الْجَمْعِيَّاتِ الْخَيْرِيَّةِ، وَأَلَا يَهْمَلُوا شَيْئُونَ الْيَتَامَى مَكْتَفِينَ بِالذَّعَايَاتِ وَالتَّقَارِيرِ الشَّكْلِيَّةِ بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَشْرَفُوا عَلَى الْأَيْتَامِ إِشْرَافًا جَادًا، وَعَلَى الْمَجَالِسِ الْحَسْبِيَّةِ أَنْ تَكُونَ دَقِيقَةً غَايَةَ الدَّقَّةِ فَكَمْ مِنْ حَيْلٍ لِلأَوْصِيَاءِ وَكَمْ مِنْ سَبِيلٍ اصْطَنَعَهَا رِجَالُ الْقَانُونِ الْوَضْعِيِّ، وَالْقَلَّةِ مِنَ الْمَحَامِينِ فِي التَّحَايِلِ عَلَى أَمْوَالِ الْيَتَامَى.

وعلى المسؤولين وولاة الأمر أن يراقبوا كل ذلك فى دقة وحيطة بالغة لأن أمر اليتامى خطير، وإهمالهم فيه شر مستطير على اليتامى من جهة وعلى البيئـة والمجتمع من جهة أخرى. وفى رعايتهم والقيام بشئون حياتهم، وتكوينهم وتربيتهم رفعة للمجتمع وإصلاح لأفراده وجماعته، فربما ظهر من بينهم عالم كبير، أو مخترع عظيم، أو قائد ماهر، أو ذو عقلية تنفع المجتمع «وهم فى كل الأحوال حين ينالون الرعاية الاجتماعية يصبحون أعضاء نافعين، ومواطنين مخلصين».

### (٣) علاج المتسولين

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قَالَ: «ليس المسكين الذى يطوف على الناس، فترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه، ولا يفتن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النساء ٩.

(٢) سورة النساء ١٠.

(٣) رواه مالك وأحمد والبخارى ومسلم.

إن المسكين الذى يعنيه الحديث، لا يجد ما يغنيه وفى الوقت نفسه لا يسأل الناس، فحرى بمثله أن يتنبه الناس إليه، وأن يعطفوا عليه، فهو أولى من غير المحتاجين، وبعض المتسولين المحترفين، هذا وإن الإسلام هو دين الرحمة والتعاون أمر بالصدقة والإنفاق على الفقراء والمحتاجين والمساكين، ولكنه لم يبيح الصدقة للأغنياء ولا لصاحب القوى الذى يستطيع أن يعمل كما جاء فى الحديث: «لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى» أى لذى قوة وسليم الأعضاء.

ولكننا نرى بعض المتسولين الذين يحترفون ظاهرة التسول مستغلين دعوة الإسلام الى الصدقة ومشروعية الإنفاق والزكاة والتعاطف وقد يكون أحدهم قادرا على العمل ومستطيعا للكسب، ومثل هؤلاء عالج الإسلام مشاكلهم بالدعوة إلى العمل سبيلا للرزق، وحفاظا على ماء الوجه... إن الإنسان المسكين الذى يستحق الصدقة هو الذى لا يجد ما يحتاجه أو الذى سدت أمام وجهه سبل العمل فلم يجد شيئا، ومع هذا فإن الإسلام أمر المحتاج القادر أن يعمل ولو أن يحتطب أى يجمع الحطب ويبيعه وهو مثل لأبسط أنواع الأعمال.

وقد وضع الرسول ﷺ المسكين الذى يستحق الصدقة حين قال: «ليس المسكين الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمررة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه».

وحذر عليه الصلاة والسلام من عاقبة المسألة حين قال: «لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مزعة لحم»...

وهكذا يعالج الإسلام ظاهرة التسول بالبحث عن العمل والسعى على الرزق حتى لا يصبح بعض الناس عالة على غيرهم وحتى تتراءى صورة المسلمين فى عزة وكرامة، وألا يمدوا أيديهم فاليد العليا خير من اليد السفلى...

وليس فى هذا حرج على الفقراء والمساكين، والمحتاجين. فقد أوجب الإسلام فى أموال الأغنياء حقا معلوما للسائل والمحروم، إنما أراد الإسلام بهذه الوصايا أن يقاوم ظاهرة التسول وأن يعالج أصحابها حتى ينتظموا فى صفوف المجتمع أعضاء عاملين يتسمون بالعزة، حتى إن القرآن الكريم قد أثنى على بعض الفقراء الذين يحسبهم الناس أغنياء من

التعفف لأنهم لا يسألون ولا يمدون أيديهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (١).

#### (٤) رعاية المسنين

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لَسَنَهُ إِلَّا قِيضَ اللَّهُ لَهُ مِنْ يَكْرَمِهِ عِنْدَ سَنِهِ» (٢).

إن الإسلام يدعو إلى توقير الكبير، ورعاية حق المسنين، أولئك الذين قضوا زهرة حياتهم في خدمة المجتمع، وإن إكرامهم ورعايتهم من الواجبات التي دعانا إليها رسول الله ﷺ وبشر الرسول ﷺ - بطول العمر - من يقوم بإكرام المسنين وخدمتهم، وأنه يصل إلى مثل عمرهم ويقضى الله له من يكرمه كما أكرم أولئك المسنين. فيقدر الله تعالى له عمرا يبلغ به إلى الشيخوخة ويقدر له من يكرمه قال العلماء: فيه دليل على طول العمر لمن أكرم المشيخة. وأولى المسنين بالرعاية بالنسبة للإنسان والداه ثم أقاربه وأرحامه وجيرانه وأصدقائه ثم سائر إخوانه المسلمين، الذين يراهم في حاجة إلى الرعاية والإكرام.

وإذا كانت هناك دور قد ظهرت لرعاية هؤلاء الكبار فإن مثل هذه الدور مع ما تؤديه من رعاية لحقوق أولئك المسنين فإنها لا تعفى الأبناء والأرحام من القيام بواجبهم تجاه آبائهم، وأمهاتهم بل إن الأبناء يجب عليهم أن يقوموا بالبر بالوالدين فقد وصى الله تعالى بهما بعد الوصية بعبادة الله تعالى وحده فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴿٣﴾.

(١) سورة البقرة ٢٧٣.

(٢) رواه الترمذی.

(٣) سورة الإسراء ٢٣ - ٢٤.

ويجب على الأبناء أن يبذلوا ما استطاعوا من البر، فلا تغنى دور المسنين عن رعاية البنين، وعاطفة الحنان التي يجب أن تبقى بين الأبناء وأبائهم. وكذلك من الشباب والصغار وبين الطاعنين في السن من سائر الناس في المجتمع، لأن الإسلام هو دين الرحمة وأولى الناس بالرحمة هم أولئك الكبار الذين أدوا رسالة في الحياة وقدموا اعطاء لجيلهم، وليست رعاية المسنين تقتصر على توفير الطعام، والشراب، والمسكن، وسائر ما يحتاجونه من الأمور المادية فحسب بل إن رعايتهم نفسياً، من أهم ما ينبغي أن ننبه إليه فإن كثيرين من المسنين كانوا في مقتبل حياتهم وفي وقت عملهم يلتف الناس حولهم خاصة من كان صاحب منصب مرموق أو عمل هام، أو وظيفة كبيرة أو عامة فتراه وقت خدمته يلتف الناس حوله ويتفقدون أحواله ويزورونه ويسألون عنه، وعندما تنتهي خدمته، ويحال إلى المعاش لا ترى أحداً من الأصدقاء الذين كانوا لا يتركونه يوماً واحداً ولا ترى التفاف الناس حوله، وذلك لأن الكثيرين لا يعينهم إلا مصالحهم ولم يعد في يده شيء فينفضون من حوله... وليس هذا من الوفاء الذي أمر الإسلام به، ولا من المروءة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان. بل ألوهن من ذلك أنه قد يحتاج بعد خروجه من عمله إلى بعض الرعاية أو قضاء مصلحة فلا يرى أحداً حوله... إن التنكر للمسنين الذي كانت لهم بصماتهم وكان لهم دورهم في الحياة أمر خطر، لأنه يقضى على رابطة من أهم الروابط الإنسانية، ولذا كانت الدعوة إلى رعاية المسنين والوفاء معهم أمراً واجباً، يستحق من يقوم به في شبابه أن يكافئه الله تعالى بمثل عمله فيقضى له من يكرمه عندما يبلغ سن هذا الكبير الذي أكرمه والجزاء من جنس العمل.

